الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع

التعاقب الدوري عند مالك بن نبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

شتوان فاطمة

إشراف الأستاذة:

مزواد نسيبة

السنة الجامعية 2016/2015

إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أمي الطاهرة التي لطالما تمنت رؤية أولادها مجدين ومتفانين في دراستهم ،ويبلغون الدرجات العلى والمراتب الراقية [اللهم إنها وديعتك يا ربنا طيب ثراها وأكرم مثواها ،وأحسن جزاءها واجعلها في جنة الخلد مع الخالدين]

كما أهديه إلى خالي العزيز وإلى أبي حفظهما الله

أهدي اهداء خاص ، وخاص جدا إلى أختي العزيزة حنان :الكلمات لا توفيك حقك والجمل لا تعبر عما في قلبي من حب وصدق وامتنان ، وأشكرك على كل شيء على مساندتك ، وعلى رغبتك في أن انجح ، وعلى تحمل مسؤوليتك على أكمل وجه . كان الله معك وعوضك على كل شيء ورزقك صحبة الأبرار في الدنيا والآخرة .

شكرا...

كما أهدي إلى أجمل وردة في جنة الحياة أختي الصغيرة نور الهدى وأخي العزيز بدر الدين

والى صديقاتي هناء ، سليمة ، فطيمة ، حليمة ، نبيلة ، اسماء والتي اتمنى لها الشفاء العاجل ..وأشكركم على وقوفكم جنبي وحفظكم الله .

والى كل من ساندني من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر – فيصل – الذي أتمنى له التوفيق والسداد.

فاطمة

Réalisé avec les aquarelles de Michèle Gilles-Roux

شكر وعرفان.

أشكر الله الكريم وأحمده حمدا كثيرا على منحي القوة في انجاز واتمام هذا العمل ...

كما أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني.. وعرفانا بالجميل إلى أستاذتي المشرفة على هذا البحث –**مزواد نسيبة**–

استاذتي القديرة ..كنت لي عونا وسندا فلم تبخلي علي لا بصغيرة ولا بكبيرة ،فكان الله في عونك ..أنار دربك وأطال عمرك .. وأعذروني في تقصيري وشكرا .

كما أتقدم بالشكر إلى أسرة قسم الفلسفة بجامعة محمد بوضياف بولاية المسيلة من مؤطرين وأساتذة وطلبة .

مقدمة

مقدمة

يعد السؤال الحضاري من الاسئلة التي تفرض نفسها على ساحة التفكير الفلسفي ،لأنه سؤال إنساني بدرجة أولى،فهو يهتم برسم الخطط المستقبلية للارتقاء بالإنسانية ،وهذا ما نشهده في نظريات الفلاسفة ومفكروا الحضارة من العصر القديم إلى وقتنا الراهن،والحضارة هي مختلف المظاهر المعبرة عن ابداع الانسان في مختلف المجالات سواء مادية او الروحية ،فهي ثمرة جهده المتواصل في سبيل تحسين حياته وتطوير اساليبها ،وابزر المفكرون المعاصرون الذين اهتموا بالقضايا الحضارية الانسانية "مالك بن نبي"؛فهو مفكر ورجل قلم ومحارب فكري جزائري ،اهتم بالية تحقيق الحضارة ومختلف اساليب التي يتخذها البشر من اجل تحقيق انسانيتهم الحقة ،في شتى مجالات الحياة السياسية الثقافية، الاقتصادية التربوية ،الى غير ذلك لهذا اعتبر مالك بن نبي مشكلة الحضارة مشكلة إنسانية بحتة ،بحيث تطرق فيها إلى كل المقومات الاساسية في تشكيل الطفرة الحضارية ،و اهتمام مالك بن نبي بإعداد مشروعه الحضاري لم يكن صدفة،وامن جاء من خلال تأمله لواقع الامة العربية والإسلامية ،محاولا وضع الخطوط العريضة لرسم خطة حضارية متكاملة البنى ،لإنقاذ الواقع الاسلامي .وعليه نطرح الاشكالية التالية :كيف فسر مالك بن نبي الحراك التاريخي؟وهذه الاشكالية الرئيسية تنطوي عليها عدة مشكلات جزئية :ما هو الدور الحضاري عند مالك بن نبي ؟ وهاهي ابزر معالمه،ثم ما هي نظرته التي ارساها لإعادة بناء الانسان والحضارة ؟ وما هي الاليات التي رسمها في بعث فعالية الانسان وبث الارادة فيه؟ وفي ظل تأمله للواقع المجتمع الاسلامي ما هي السياسة الراشدة التي بلورها لإعادة هيكلته ؟ وما هي الاساليب التي حددها في معالجة مشكلاته ؟وما هي اهم النظريات التي استند عليها في بناء مشروعه الحضاري ؟ثم ما هي المبررات والحكمة من الدور الحضاري عامة وعند بن نبي خاصة ؟وهل استطاع بن نبي ارساء منهج قوي للنهضة الاسلامية ؟وبمعنى اخر هل يعتبر مصلح حضاري بحق؟

ومن أسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو ابراز الدور الذي لعبته نظرية مالك بن نبي في ارساء معالم وأسس النهضة الاسلامية ،خاصة في ظل تبني ماليزيا لهذا المشروع الذي نجحت فيه بامتياز خصوصا الجانب الاقتصادي والصناعي منه ،إضافة إلى كون ابن نبي من أكثر الشخصيات العربية بروزا ،حيث أحدث ضجة فكرية في أوساط المثقفين في كل الأقطار العربية.

وتكمن أهمية موضوع الدور الحضاري في نقطتين أساسيتين:

1- إبراز مواطن الضعف والمرض في حضارة معينة ،وذلك من أجل اجتنابها وتفاديها ،وعدم الوقوع فيها مرة أخرى وهذا ما سعى إليه مالك بن نبي ،حيث ذكر أسباب تخلف الحضارة الإسلامية وذكر الآليات والمبادئ العلاجية من أجل تحقيق غاية نهضوية.

2- اعتماد مالك بن نبي في طرحها وتحليله للتعاقب الدوري بين الحضارات على أسس استقرائية واقعية لا أسس ميتافيزيقية ،وهذا ما يبرز الطابع العلمي في تشكيل معادلته الحضارية.

وللإجابة على الإشكالية اتبعت الخطة التالية الفصل الأول جاء تحت عنوان مفهوم الدور الحضاري ،وجاء هذا الفصل شارحا لعدة مفاهيم تدور في حقل الحضارة ،وما يقاربها من مفاهيم حتى تتضح التعريفات والعلاقات ،وجاء هذا الفصل حاملا ثلاث مباحث ،الأول كان بعنوان مدخل مفاهيمي تطرقت فيه لتعريف الدور لغة واصطلاحا وأيضا تعريف الحضارة لغة واصطلاحا ،ثم تناولت مفهومين أساسيين مرتبطين بالحضارة وهما الثقافة والمدنية ،فقد تم تعريفهما من الناحية اللغوية والاصطلاحية ،وذكرت أبرز من يربط ويفرق بينهما وبين الحضارة ،وبعد أن تتبعت مفهوم الدور والحضارة من الناحية اللغوية والاصطلاحية عرفت الدور الحضاري نظرية أساسية في حقل فلسفة التاريخ أما المبحث الثاني فهو عرض للإرهاصات والبدايات الأولى للدور الحضاري ،فقد عرفت فيه الدور عند الحضارات الشرقية القديمة (الطاوية والبوذية نموذجا) ،وأيضا التفسير الدور عند الفلاسفة اليونانيين أمثال أنكسي ماندريس ،وهرقليدس ،وبرمنديس ،وأيضا ذكرت أهم الآيات القرآنية التي تدل على أن للزمن حركة ذات اتجاه دائري .أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه أهم مفكري وفلاسفة التاريخ اللذين مثلوا نظرية التعاقب الدوري بدء بمؤسس فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع العلامة ابن خلدون ،وأيضا جيوفانيباتيستا فيبو ودورته الحلزونية وأخيرا الدورة البيولوجية عند شبينغلر.

الفصل الثاني جاء تحت عنوان الدور الحضاري عند مالك بن نبي ،وفي هذا الفصل حاولت أن أعرف الدور الحضاري عند ابن نبي وكذلك المحاور الكبرى التي تشكل معادلته الحضارية من إنسان كأهم عنصر في التفسير الحضاري والتراب والوقت ،وجاء هذا الفصل حاملا لثلاث مباحث :المبحث الأول جاء بعنوان مفهوم الحضارة عند ابن نبي والذي تطرقت فيه إلى تعريف الحضارة عنده ،وإلى العناصر المشكلة للحضارة حسبه والمحاور الكبرى التي يقوم عليها مشروعه الحضاري. أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه تعريف الدورة الحضارية عند ابن نبي ومنطلقاتها المرجعية

وأهم خصائصها (التسلسل ،التغير ،التجدد) ،وفي المبحث الثالث ذكرت مراحل الدورة الحضارية عند ابن نبي ،وهي مرحلة الروح ومرحلة العقل ومرحلة الغريزة.

أما الفصل الثالث جاء تحت عنوان تجسيد مراحل الدور الحضاري عند ابن نبي وأسس مشروعه النهضوي وهذا الفصل هو عبارة عن خطة استراتيجية تتقصى الأمراض التي انتشرت في العالم الإسلامي (ما بعد الموحدين) والتي كانت سببا في تخلفهم ،وبعد هذا تأتي مرحلة البناء والتأسيس أي إرساء أسس ومعالم المشروع الذي يكون كفيلا بقيام حضارة إسلامية من جديد ،وهذا الفصل جاء حاملا لثلاث مباحث ،المبحث الأول فقد كان تبيان تطبيق وتجسيد مراحل الدورة الحضارية عند ابن نبي (الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية نموذجا) ،أما المبحث الثاني فهو ذكر الأمراض والعوائق الحضارية في العالم الإسلامي ،فقد قسمها مالك بن نبي إلى أمراض نفسية ،وأمراض فكرية وأخرى ذاتية ،بينما المبحث الثالث فقد كان ذكر لأهم الآليات والأساليب للنهوض والتجديد الحضاري.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الذي ساعدني على عرض مشروع مالك بن نبي الحضاري وتبين أسسه ومعالمه ،مع الشرح المستمر.

وأهم الكتب التي اعتمدها في بحثي هذا كانت كتب مالك بن نبي والتي من أهمها شروط النهضة ،ميلاد مجتمع وجهة العالم الإسلامي ،وأما المراجع فقد استخدمت كتاب على عتبات الحضارة ،في معركة الحضارة ،التاريخ وكيف يفسرونه ،من التاريخ إلى فلسفة التاريخ.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني هو اتساع مجال الحضارة وتنوع مدلولاتها وتفسيراتها ،وصعوبة إيجاد تعريف وتفسير متفق عليه.

وبالرغم من توفر المراجع المعالجة لإشكالية الحضارة البينانية إلا أن موضع الدور الحضاري البحث فيه قليل.

الفصل الأول

مفهوم الدور الحضاري

المبحث الأول:مدخل مفاهيمي

المبحث الثاني:ارهاصات الدور الحضاري

المبحث الثالث :تجسد الدور الحضاري عند الفلاسفة

يعتبر مبحث فلسفة التاريخ من المباحث الأساسية التي اهتمت بالنظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة عقلية تأملية وذلك لمعرفة التفسير الحضاري ،من أهم النظريات المفسرة للسير الحضاري النظرية التعاقب الدوري للحضارات ،هذه الأخيرة التي تهتم في البحث عن أسباب و عوامل لنشوء الحضارات ،وطبيعة صيرورتها ،وأسباب سقوطها ونتائج فنائها وتخلفها. فما هو مفهوم الدور الحضاري ؟ وما هي بدايته الأولى ؟ وهل تعتبر نظرية التعاقب الدوري نظرية لها قيمتها ومكانتها في ظل تعدد وتنوع التفسيرات الحضارية .

المبحث الأول :مدخل مفاهيمي

إن إعطاء تعريف شامل وكامل للدور الحضاري يقتضي الإحاطة به من كل الجوانب ولا يتم ذلك ،إلا إذا تتبعنا المصطلح وجزءناه إلى شقيه الأساسي "دور" و"حضارة" ،وحددنا كل مفهوم ومصطلح على حدة ،فتحديد المعاني والمصطلحات له أهمية كبيرة في البحث العلمي الرصين ،إذ يعتبر الخطوة الأساسية والمهمة الأولى للمعرفة العلمية فإهمالها يؤدي إلى إجهاض الكثير من البحوث والدراسات ،فبتحديد المفاهيم نرتاد إلى غمار البحث ونضمن شرطا علميا في معالجة الإشكالية المدروسة ،والتزاما بهذه الخطوة المنهجية وتأسيسا عليها وف نحدد مفهوم الدور الحضاري. فما هو الدور الحضاري؟

المطلب الأول : تعريف الدور

أ. **لغة** :الدور هو سلسلة الحوادث سواء الطبيعية أو الانسانية التي تعود وتتكرر بصفة دورية ،والدور لغة هو الرجوع إلى نفس النقطة التي كانت منها الانطلاقة فقد عرفه ابن منظور بقوله « دار الشيء يدور دورا ودورانا ودورا استدار وأدرته أنا ودورته وأداره غيره ،ودور به ودرت به أي استدرت وداوره مداورة ودوارا ،دار معه.ويقال دار دورة واحدة وهي المرة الواحدة يدورها » «ويقال الدور قد يكون مصدرا في الشعر ويكو دورا واحدا من دور الحمامة ،ودور الخيل. والدور مشتق من الدورة ،والدورة مشتقة من الفعل دار يدور دورة ،واستدار يستدير بمعنى طاف حول الشيء وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه »[1].

وجاء في القاموس المحيط « دار دوارا ،ودورانا واستدار وأدرته ودورته ،وأدرته ،وأدرت واستدرت ،وداوره ممدارة ودوار دار معه ،ويقال (الدهر دوار) ،ويقال دور الشيئ بمعنى جعله مدورا ،بمعنى جعله على شكل دائرة

[1] - ابن منظور :لسان العرب ،حرف الدال ،المجلد الخامس ،بيروت : دار الصادر ،ط1 ،دت ،ص321.

والدائرة تأخذ شكل الحلقة يقال دوري بمعنى مدورا ،وينتقل من نقطة البداية ليعود إليها مرة أخرى »[1] ،ويقال : «دار ،دورا دورة أي تحرك وعاد إلى حيث كان أو إلى ما كان عليه ،وادار بالشيئي طاف به حوله ،والدهر: دال وتقلب: دير به أخذه الدوار ،دوره وبه ،وجعله يدور ،داوره ممداورة ودوار ،دار معه. أدار مصدر إدارة الشيء: بمعنى جعله يدور ،يقال صرف فلان عن حقه وطلب منه أن يقرئه أي جعله يدور عنه . أديربه: أخذ الدوار ،إستدار إستدراة : داري الشيء وبه ادارة : يقال استدار بما في قلبي أي أحاط به ،الدار : الحول والدهر .والدور (مصدر) جمع أدوار وهو عودة الشيء إلى ما كان عليه ،والدوار والدواري :كثير الدوران يقال :الدهر دوار ودواري بالإنسان أي دائر به»[2] .« والفعل دور بمعنى جعله مورا ،أدار إدارة الأمر :أحاط به ،تدور كان مدورا استدار ،استدارة الشيء: كان مدورا والدار جمع دارات والدور كل موضع يدار به شيء بجحره كالحلقة أو هالة القمر ،فيأخذ شكل الدائرة» ،بمعنى دوائر ،يقال «دارت عليهم الدوائر بمعنى ترتبهم النوائب والمصائب والمصدر "دوران" ويأخذ معنى حركة دائرية على محور ثابت ،فيشكل "دورة" والدورة مشتقة من الفعل داراي تحرك وحماد إلى حيث كان» .

ودار بالشيء أي طاف به ،«والدور هو المصدر للدورة جمع أدوار والذي يعنى تلك الحركة الي يعود فيها الشيء إلى ما كان عليه».[3]

ب. اصطلاحا :الدور هو سلسة الأحداث التي تتكرر بصفة دورية ،وهّا التكرار الدوري والتشابه في النظام والصيرورة لا يقتصر على الظواهر الطبيعية فقط (دورة القمر): هلال ،بدر ،قمر ،(دورة الماء) ،«وهذا التكرار الدوري والتشابه في النظام والصيرورة لا يقتصر على الظواهر الطبيعة فقط وإنما ايضا يتجاوز إلى الظواهر الإنسانية فحدوث الظواهر الكائنات ،يحدث بصفة دورية فإذا ما كان من الضروري وجود شييء ما في هذه اللحظة فإنه من الضروري كذلك أن يكون ذلك شيئ نفسه قد وجد من قبل ،وإذا كان الشيء قد وجد من قبل وموجود الآن فإنه من الضروري أن يوجد من جديد في المستقبل ويتكرر هذا إلى مالا نهاية» [4]. بمعنى ان الدور هو ان تشهد الأحداث و الظواهر نفس البداية لتصل إلى النهاية ،وبالتالي تعيد نفسها من جديد على نفس المنوال و نفس الحركات و نفس النظام.

---

[1] - الفيروز آبادي : القاموس المحيط ،بيروت ،دار الرسالة ،ط6 ،1997 ،ص 253.

[2] - المنجد في اللغة و الإعلام: بيروت دار المشرق ،ط6 ،1988 ،ص 228.

[3] - المنجد في اللغة والإعلام ،مرجع نفسه ،ص ص 228 ،229.

[4] - محمد عابد الجابري : مسألة الهوية والعرورية والإسلام والغرب ،بيروت ،مركز الدرسات الوحدة العربية ،ط3 ،2006 ،ص 96.

وهذا ما يؤكده "ميكيافيلي" إذ يرى أنه «من أراد أن يتنبأ بالمستقبل فعليه إن يرجع إلى ماضي أحداث البشرية فهناك تشابه دائما وابدأ بين أحداث الماضي والمستقبل »[1]. بمعنى أن الماضي والمستقبل هما سلسلة مرتبطة الحلقات ،فلا نستطيع الفصل بينهم ،لأن هناك دائما ترابط وتلاحم بينهم ،فإذا أريد التأطير والتنظير المستقبل يجب على الباحث أن يأخذ عينية من الماضي لتنتج التجربة ويصل فيها إلى نتيجة عميقة .

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة

أ– لغة:

تمثل الحضارة كل ما أنتجه الإنسان وأبدعه عقله ويعرفها ابن منظور في معجمه لسان العرب من الناحية اللغوية على أنها خلاف للبادية حيث يقول أن «"الحاضر" "هو المقيم في المدن والقرى وأن البادي هو المقيم في البادية[2] ،والحضرة والحاضرة " والحضارة " كلمات ذات مدلول احد هي خلاف " البادية"».[3]

ويوضح "لسان العرب" « أنها المدن والقرى والريف ،وقد سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرأوا »[4] بمعنى مزاولة العيش في مكان أكثر قد ماس حيث البيئة ،والوسائل أو المرافق الحياتية ،فالحضارة تعني العيش في مكان وفق معطيات تختلف عن تلك المعهودة في البادية .

«فالحضارة تلفظ بكسر الحاء وفتحها وهي مشتقة من الفعل حضر والحضر لغة ضد "غاب" ومنه الحضر والحاضر الحضارة بمعنى المدن والقرى الريف أي الإقامة في الحضر خلاف للبادية خلافا للبادية التي يمكن أن تكون اشتقت من الفعل المجرد بدا ومضارعه يبدو أي برز وظهر ،ثم أطلق اللفظ على المكان وصارت تعني الإقامة خارج الحضر». وورد في المعجم الفلسفي "لجميل صليبا" «أن الحضارة تعني الإقامة في الحضر ،بخلاف البداوة التي تعني الإقامة في البوادي».[5] وورد أيضا في المعجم الفلسفي لمراد وهبة «"أن الحضارة " حالة مقابلة للبداوة والقطرة وهي جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل».[6]

---

(1) - بتول احمد جناريه : على عتبات الحضارة ،بحث في سنن و عوامل التخلق و الانهيار ،سورية ،دار الملتقى ،ط1 ،2011 ،ص20.

(2) - إبن منظور ،مرجع السابق ،ص 103

(3) - الفيروز آبادي ،مرجع سابق ص 376.

(4) - إبن منظور ،مرجع السابق ،ص 103.

(5) - جميل صليبا :المعجم الفلسفي ،ج1 ،بيروت : دار الكتاب ،ط1 ،1978 ،ص 475

(6) - مراد وهبة :المعجم الفلسفي ،القاهرة : دار القباء الحديثة ،2007 ،ص 180

وجاء في معجم اللغة والاعلام « أن الحضارة من الفعل حضر " أي أقام بالحضر ،وقولنا تحضر البدوي أي نسبة بأخلاق الحضر»[1] ،بمعنى آخذ من الحضر من أخلاق والثقافات.

ويعتبر المؤرخ الفيلسوف " عبد الرحمن بن خلدون" ،أول فيلسوف اجتماع تصدي لتعريف الحضارة في اللغة العربية ،وأول من عالج صور الحضارة معالجة منظمة ،«فالبداوة والحضارة عنده هي طور طبيعي أو جيل من أجيال الطبيعة في الحياة المجتمعات المختلفة ،ولكن البداوة أقدم من الحضارة والبد و أصل الحضر»[2].بمعنى البداوة أصل الحضارة أي أن الحضارة هي الغاية التي ينتهي إليها البدو ،وذك أن اجتماع البدو وتكاتفهم في معاناتهم وتعاونهم في العمران بما يستلزم من القوت والدفء لم يكن يتم إلا بالقدر الضروري الذي يحفظ لهم الحياة[3] ،وهذا ما يؤكده جميل صليبا أن لفظ الحضارة قديم ويعتبر ابن خلدون هو أول من أطلقه على المعنى القريب ففرق في مقدمته بين العمران البشري والعمران الحضري[4].

ونجد القاموس الفرنسي "لاروس" يقدم تعريف آخر للحضارة حيث يعرفها بأنها «مجموعة المميزات والقيم الشاهدة على درجة التقدم الإنساني وتطور المجتمعات الإيجابي» ،بمعنى كل المظاهر والآثار الدالة على القيام الحضارات ورقيها كالحضارة اليونانية والإسلامية[5] .

وانطلاقا من المعطيات الحالية تعدت كلمة الحضارة إلى معنى"العالمية" (*moudialisation*) ثم إلى الكونية (*moudialisation*) وأصحبنا نقول الحضارة الكوكب الأزرق ،بمعنى حضارة واحدة تجمع وتتخذ في داخلها كل الشعوب على الأرض وإن تعددت حضارتها ،والحضارة عند الغرب عموما هي المشروع التاريخي والطبيعي للإنسان في المجتمع ،ومنه يتعدى إلى عدة مجتمعات وأمم ،بمعنى نشر حضارة وثقافة واحدة إلى سياسة الشمولية وبالتالي هي أداة للهيمنة والتوسع السياسي والاقتصادي والفكري والإيديولوجي ،وهذا ما نلاحظه اليوم في ظل الهيمنة الأمريكية بطريقة غير مباشرة ،وذلك بواسطة العولمة في مختلف جوانبها (الإعلامية والاقتصادية والفكرية) فالإنتاج الضخم للمواد الإعلامية وطمس مقدساتها مثل المسلسلات والأفلام المدبلجة وأفلام الكارتون التي تتحكم في السلوك ،والتي تحرض أيضا السلوكيات المنافية للأخلاق وأيضا تسعى العولمة الإعلامية إلى استقطاب النخب المثقفة للترويج لفكرة

---

(1) - المنجد في اللغة والاعلام ،القاهرة :،دار المشرق ،ط 3 ،1997 ،ص 139.

(2) - محمد ضيف الله البطانية: الحضارة الإسلامية ،عمان ،دار الفرقان ،ط 1 ،2003 ،ص 6.

(3) - السيد عبد العزيز سالم ،المرجع نفسه ،ص 6 .

(4) - جميل صليبا ،مرجع السابق ،ص 476.

(5) - امنة تشيكو : مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي ،وأرولند توينبي ،الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ،ص 18.

العولمة وبلورتها عبر الحوارات والمقلات والمؤتمرات وغير ذلك. وأيضا إلى الجانب الاقتصادي حيث نلاحظ كل يم تزايد إنشاء الشركات المتعددة الجنسيات أو الشركات العابرة للقارات والتي ظاهرها التنمية الاقتصادية إنما حقيقتها تخزينه والسيطرة عليها فالعولمة غايتها هي جعل الثقافات الأخرى تابعة لها وهي المسيطرة.

التعريف الإصطلاحي:

يعرف ابن خلدون الحضارة على أنها :"مجموعة المظاهر المادية لتطوير العمران البشري ،ونهايته وخروجه إلى الفساد والبعد عن الخير"[1] ،معنى الحضارة هي الرقي والازدهار الذي تعبر عنه مختلف المظاهر المادية لتطور الدولة من صناعات واختراعات وغير ذلك ،والذي يعبر عن الترف في العيش حيث يصبح الناس في مرحلة الحضارة حسب ابن خلدون "يتفننون في هذه الصنائع المادية التي ليس دورا بارزا في الازدهار والتقدم الحضاري ،ففي هذه المرحلة يبتعدون شيئا فشيئا عن البعد الديني والأخلاقي ،فتخرج الحضارة من حالة الشباب والقوة إلى حالة الترف وبعدها إلى حالة السقوط.

ويذكر الدكتور "رمضان البوطي" :"إن الحضارة تزداد اتساعا وعمقا كلما زادت بأصحابها بعدا عن طبيعة البداوة ومستلزماتها إيغالا في المجتمع العمراني وتفاعلا مع أثاره ونتائجه"[2] بمعنى أن الحضارة هي الخروج من البادية إلى المدينة ،وذلك بفضل الجهود التي يبذلها البدو من أجل تأطير مجتمعهم في قوالب من التخطيط العمراني الحضاري ،في سبيل تحقيق مقومات ثابتة وعميقة تساهم في الازدهار والتقدم الحضاري ،وبث فيه أسس وأسباب الخير والسعادة.

ونستنتج من تعريف ابن خلدون والدكتور رمضان البوطي أن الحضارة ذات مراحل تبدأ بالبداوة لتصل إلى الحضارة ،أي لولا البداوة ما كانت الحضارة فالبدو هو الجذور الأولى في التشكيل الحضاري.

ويعرفها أندري لالاند :"مجموعة الظواهر الاجتماعية المركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية ،فنية تقنية أو علمية مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض ،وفي قاعدة مجتمعات مترابطة"[3] ،بمعنى أن الحضارة ظاهرة متعددة الجوانب فهي ذلك الكل المركب من الفن والدين ومختلف المنتوجات التقنية والتطورات العلمية التي يشترك فيها

---

(1) - السيد عبد العزيز سالم ،مرجع سابق ،ص 8.

(2) - محمد سعيد رمضان البوطي :منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ،دمشق :دار الفكر ،د.ط ،د.ت ،ص 19 .

(3) - أندريه لالاند :موسوعة لالاند الفلسفية تر:خليل أحمد خليل ،مج A6 ،بيروت ،منشورات عويدات ،ط2 ،2002 ،ص172.

مجتمع معين ،والذين يعيشون في نطاق حضاري واحد ،والتي تستطيع أن تمتد وتنتقل لتضم المجتمعات فيما بينهم فتشكل خصائص حضارية مشتركة.

ويعرفها "ويل ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة" بأنها «نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي ،وهي تتألف من عناصر أربعة :الموارد الاقتصادية والنظم السياسية ،والتقاليد الخلقية ،ومتابعة العلوم والفنون والحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق لأنه إذا آمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع».[1] بمعنى أن الحضارة عند ويل ديورانت هي :نسق اجتماعي ونتاج إنساني يظهر عندما تختفي أسباب الخوف واللا أمن من حروب ونزاعات وغيرها ،فكلما كان الإنسان أمن ومطمئن تتحرر فيه غرائز الإبداع والتحضر فيستطيع استغلال موارده الاقتصادية والطبيعية أحسن الاستقلال وتأسيس دولة قوية وقائمة بذاتها ،وتنمية علومه وفنونه وآدابه وحفظ وصيانة عاداته وتقاليده ،وعليه تتأسس الحضارة وتنمي الانتاجات الفكرية والثقافية.

ويؤكد ألبرت شيفتيزر (*ALPERT SEHETEZE*).المعنى الأخلاقي للحضارة بقوله :« إن جوهر الحضارة يكمن أساسا في سيادة العقل على سيادة الإنسان بمعنى إحراز التقدم الأخلاقي والروحي ،ويضيف فالتقدم الأخلاقي هو جوهر الحضارة الحق ،وليس له غير معنى واحد ،أما التقدم المادي فهو أقل جوهرية ،ويمكن أن يكون له أثر طيب أو سيء في تطور الحضارة»[2] ،بمعنى أن شيفتيزر يرى في الأخلاق الطريق الحقيقي والعميق الذي يوصل إلى الحضارة فالأخلاق وحدها هي التي تعطي الدافع القوي لبلوغ التقدم والتحضر ،فبالتخلي عن المثل الأخلاقية والدينية يسقط المجتمع ،وتتضاءل إمكانية حضارته ،فالأخلاق لها معنى ووجه واحد في رأيه وهو التأسيس الحضاري والرقي في مختلف المجالات ،فهي تلعب دائما الدور الإيجابي ،وليس لها نقاط بتاتا تؤثر فيها في الحضارة على نحو سلبي ،بينما البعد المادي أو التقني والعلمي قد يحتمل معنيين في التحكم الحضاري سواء بالسلب أو الإيجاب.

«والحضارة هي ثمرة أي مجهود يقوم به الإنسان لتحصين ظروف حياته على وجه الأرض ماديا أو معنويا».[3] بمعنى أن الحضارة هي نتاج التغير الذي يحدثه الإنسان في الطبيعة ويهدف هذا التغيير لتحسين الظروف الحياتية في

---

(1) - ويل ديورانت :قصة الحضارة ،ج1 ،تر:زكي نجيب محمود ،بيروت ،دار الجيل ،ط2 ،1988 ،ص2.

(2) - ألبرت شيفتزر :فلسفة الحضارة ،تر:عبد الرحمان بدوي ،مراجعة زكي نجيب محمود ،الإسكندرية ،المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ،د.ط ،د.ت ،ص404.

(3) - حسن مؤنس :الحضارة –دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها –،الكويت ،عالم المعرفة ،د.ط ،د.ت ،ص13.

مختلف الجوانب ،وبالتالي الارتقاء إلى الأحسن وذلك باكتساب صفات ومؤهلات من أجل الدخول في الركب الحضاري.

وفي العصر المعاصر تناول الباحثون الغربيون والعرب الحضارة ،واتفق أكثرهم أن مدلول لفظ الحضارة مرتبط بالظواهر الاجتماعية والسلوك والعقائد والنظم ،فيذكر "توماس مان" مثلا "أن الحضارة هي روح عميقة للمجتمع تقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان"[1] ،بمعنى أن الحضارة هي ذات أسس روحية والتي تعبر عنها القيم الدينية والقاعدة الأخلاقية ومختلف المناهج والنظريات الفلسفية والمبادئ العاطفية التي تترجم إلى سلوكات واقعية بناءة ،تغير الواقع الإنساني وتصنع منه مجتمع متحضر.وهذه الطائفة من الباحثين يؤكدون أن الحضارة ذات بعد روحي معنوي ،فهي لا تتصل بتاتا بالصناعات المادية والتكنولوجية ،وإنما ذات أصول إنسانية (فكرية أخلاقية دينية) ،والتي تعرف بالثقافة.

وهناك باحثين آخرين أغلبهم من الإنجليز يعرفون الحضارة على أساس واقعية علمية وتكنولوجية أي مختلف الوسائل المادية التي تعبر عنها التطورات العلمية مثل "مارسيل موس" "مافيوأرلوند" وغيرهم ،ويتحدثون عن الحضارة تحت اسم المدنية وهو اللفظ الرديف للحضارة حسبهم ،فيعرف مافيوأرلوند الحضارة بقوله :« هي الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم ،مما يؤدي إلى الرقي الحضاري»[2] ،بمعنى أن التطورات التكنولوجية والإبداعات العلمية والوسائل المادية هي التي توصل المجتمعات للكمال الحضاري ،والمنتوجات العلمية والتقنية هي المحك الوحيد الذي يفرق بين المجتمعات المتحضرة والغير متحضرة.

مما سبق نستنتج أن الحضارة عند الباحثين لها مدلولين:

مدلول معنوي يضم الجانب الإنساني وما ينطوي عليه من اتجاهات كالاتجاه الديني والأخلاقي والعاطفي والفكري وهذه الاتجاهات كلها يحويها وعاء فكري واحد وهو الثقافة ،ومدلول ثاني يعبر عن مختلف الانتاجات العلمية والوسائل المادية التي تعبر عن التطور الحضاري ،وتميز حضارة عن أخرى وما يصطلح عليه عند الباحثين للمدنية.

وعلى هذا الأساس ارتأينا إلى تحديد مفهوم الثقافة والمدنية وذكر الفرق مبينهم ومدى اتصالهم بالحضارة .

---

[1] - محمد ضيف الله البطانية ،رجع سابق ،ص11.

[2] - المرجع نفسه ،ص ص 11-12.

1- تعريف الثقافة:

تعبر الثقافة عن مجموع الانجازات لنظرية والممارسات الواعية ومختلف الأساليب التي تميز حضارة عن أخرى والثقافة لغة لفظ ثقافة هو ترجمة لكلمة (*culture*) الفرنسية الذي يدل في معناه الأصلي على فلاحة الأرض وأيضا على مجموع العمليات التي تمكن من استنبات النباتات النافعة للإنسان والحيوانات الأليفة ،أما في اللغة العربية يقال ثقف الرجل ثقافة ،بمعنى صار حاذقة وثقفت الشيء حذقته بمعنى مهمته ،والرجل المثقف حاذق الفهم.[1]

ويقال غلام ثقيف أي أنه ذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ،وهي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ،ومنها تثقيف العقل وتثقيف البدن ومنها الثقافة الرياضية والثقافة الأدبية أو الفلسفية.[2]بمعنى أن الثقافة هي تنمية واكتساب الخبرات بواسطة تدريبات وممارسات والتعلم في مختلف الجوانب سواء العقلية مثلا كتنمية القدرة على الذكاء والنقد ،أو البدنية وذلك باكتساب طرق وأساليب المحافظة على الصحة والسلامة الجسمية.

فقد أطلق الفلاسفة والمفكرون الاجتماعيون القدماء أمثال أرسطو على الإنسان أنه مفكر واجتماعي بالطبع بينما يتفق مختصوا العلوم الإنسانية والاجتماعية ،كعلماء النفس والأنثربولوجيا بأن الإنسان هو كائن ثقافي بالطبع أي أنه الكائن الوحيد الذي يتميز عن غيره من الكائنات بنسق معقد يسميه هؤلاء بنسق الرموز الثقافية ،وهذه الرموز هي :اللغة ،الفكر ،العقائد الدينية المعرفة ،العلم[3] ،بمعنى الثقافة هي ميزة إنسانية ،وهي نتيجة التحصيل الفكري الجيد والفكر غاية أخلاقية يتميز بها الإنسان عن غيره ،وبالتالي الثقافة نشاط إنساني ،فهو الكائن الوحيد الذي يسعى لتثقيف نفسه.

وإزاء الأهمية الاجتماعية والعلمية للثقافة حاول الكثير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع منذ القرن الماضي ومازالوا يحاولون تعريف الثقافة ،ولعل من أبسط التعاريف للثقافة وأكثرها وضوحا تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين وهو "روبر بيرستد" يعرفها بقوله :« إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو

(1) - محمد عابد الجابري :المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 2، 2000 ،ص8

(2) - جميل صليبا ،مرجع سابق ،ص378.

(3) - محمود الذوادي :الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب العلوم الاجتماعية ،بيروت :دار الكتاب الجديدة ،ط1 ،2000 ،ص181.

نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع»[1] ،فهذا التعريف يبرز الصيغة التآلفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي ،وبعضها مادي مجتمعين مؤلفين نسق فكري ثقافي.

وتعرف هيئة الأمم المتحدة بأنها "صميم الإنسان وطريقة في الحياة"[2] بمعنى أن الثقافة داخلة في كل ما يتصل بالإنسان سواء على النطاق الفكري أو الاخلاقي أو البدني أو النفسي فهي تعبير عن كل جهد أو هدف يسعى اليه الانسان ،و التي تحدد طريقته ومنهجه في ذلك.

ولقد ربط العديد من الباحثين والمفكرين بين الثقافة والحضارة ولقد اعتبرهما وجهين لعملة واحدة مثل "ادوارد تايلور في كتابه "الثقافة البدائية "الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف،وغير ذلك من الامكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا من أعضاء المجتمع"[3]،بمعنى ان الثقافة هي ذلك الوعاء الذي يحمل كل شيء له علاقة بالجانب الإنساني،مستبعدا العناصر أو الجوانب المادية في التكوين الثقافي وهي مجموع الخبرات التي اكتسبها الانسان ووظفها في مجتمعه الحضاري.

وأيضا من المفكرون العرب الذين يربطون بين الحضارة والثقافة "مالك بن نبي" *،فلقد«اعتبر ان الثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة،و الذي يتحرك في نطاقه الانسان المتحضر»[4]،بمعنى ان الثقافة التي تعبر عن ماهية الحضارة،فهي المجال التي تنمو فيه الاسس الحضارية،والثقافة هي الغذاء الاساسي الذي تستمد منه الحضارة قوتها،ويضمن إستمراريتها،فالشعب إذا فقد ثقافته فقد تاريخه وحضارته ويصبح يعيش في نطاق حضاري محدود، فالثقافة هي التي تحدد المصير الحضاري لأنها بقدر أحكامها وإمكانياتها تتبلور الحضارة ويتحدد مآلها.

---

(1) - ميكل تومبسون وآخرون :نظرية المعرفة ،تر:علي السيد الهاوي ،الكويت :عالم المعرفة ،د.ط ،ص9.

(2) - –امية تشيكو:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي واورلوند توينبي، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتابة ،ط،1989،ص23.

(3) - –مايكل توميسون واخرون: نظرية المعرفة،مرجع سابق،ص9.

* مالك بن نبي مفكر جزائري،ولد في 1جانفي 1905،بمدينة قسنطينة،وتوفي في 30 اكتوبر 1973، تلقى تربيته الدينية القرآنية،ودخل المدرسة الابتدائية الفرنسية في مدينة تبسة، وفيها تحصل على شهادة الدراسة الابتدائية، بدرجة جيد عام 1918،وواصل دراسته التكميلية بقسنطينة.
مارس مهنة عون قضاء في 1927بافلو، وبعد ذلك التقى بالشيخ عبدالحميد بن باديس لاول مرة،واستقى منه فلسفته الاصلاحية.وسافر إلى فرنسا 1930،من اجل مواصلة دراسته وفيها تحصل على شهادة الهندسة في الكهرباء سنة 1935،عاصر الحرب العالمية الثانية.وقد كان مولعا بالمطالعة اذ قرأ كتب الادب والفكر الانساني،كما اهتم بالتاريخ، وقد قرأ مقدمة ابن خلدون وتأثر بها.كما عالج مشكلات العالم الاسلامي واعتبر ان المشكلة هي مشكلة حضارية. من مؤلفاته:شروط النهضة،وجهة العالم الاسلامي،ميلاد مجتمع ...الخ.انظر مذكرة شاهد للقرن: مالك بن نبي ،ص11–ص197

(4) - –مالك بن نبي:مشكلة الثقافة، ترجمة:عبدالصبور شاهين،دمشق،دارالفكر،ط4،،1984،ص25.

2- تعريف المدنية:

أ- المعنى اللغوي:ورد في المعجم الوسيط:المدنية الحضارة واتساع العمران،يقال:تمدين بمعنى عاش عيشة أهل المدن،وتنعم واخذ بأسباب الحضارة.جمع مدائن،فنقول بناء المدائن.و نقول مدن فلانا:بمعنى اتى المدينة[1].

وورد في "المعجم الفلسفي" لمراد وهبة« أن المدنية هي اجتماع الناس في المجتمع.تجمعهم خصائص مشتركة»[2]بمعنى أن المدنية هي ذلك الحيز الحضاري ،ذا نطاق جغرافي معين يضم أشخاص يشتركون في المقومات الأساسية للفرد مثل اللغة الدين وغيرها .

ب- المعنى الاصطلاحي:المدنية «مرحلة زمنية ،في الأغلب مرتبطة بالجانب المادي في الحضارة،فهي تدل على الأشكال والوسائل المادية المستخدمة في شؤون الحياة ،وتدل أيضا على المستوى الذي وصلت إليه البشرية في المجال الصناعي ،فهي تدل على درجة تقدم الدرجة العلمية والتقنية»[3]بمعنى أن المدنية هي مرحلة تمر بها الحضارة الإنسانية فهي تحتاج إلى سياسة إستراتيجية قوية اقتصاديا وعلميا ،لان الأساس الذي تقوم عليه هذه المرحلة هو الجانب المادي.

ومن أبرز الفلاسفة والمؤرخين الذين يربطون بين الحضارة والمدنية "ويل ديورانت" حيث يذكر في كتابه "قصة الحضارة" بكل أجزائه لفظ "المدنية" كمصطلح دل على الحضارة.ويذكر في كتابه "قصة الحضارة" في جزئه الأول قول"لفولتير"حيث يقول :"أحب أن اعلم الخطوات التي سار عليها الإنسان في طريقه من الهمجية إلى المدنية"[4] بمعنى شرح وتحليل الخطوات التي انتهجها الإنسان في وصوله إلى التحضر بمعنى من الإنسان البدائي إلى الإنسان المعاصر. والهمجي هو أيضا متمدن بمعنى أن الهمجية أو البدائية هي مرحلة من مراحل الحضارة وحسب "ويل ديورانت" أن المدنية في وجه من أوجهها هي ورقة المعاملة وهذه الأخيرة التي تعني ذلك الضرب من السلوك المهذب الذي يتميز به أهل المدن.[5]بمعنى انه هنا يبرز ذلك الفرق الجوهري بين الإنسان الهمجي والإنسان المتمدن وهو رقة

---

[1] - المعجم الوسيط،القاهرة:مكتبة الشروق الدولية ،ط4,2004،ص859.

[2] - مراد وهبة:المعجم الفلسفي،مرجع سابق ،ص556.

[3] - إشراق موسى :تاريخ الحضارات العام ،تر: فؤاد ابوريحان ،بيروت ،منشورات عويدات،ط2 ،1996،ص18.

[4] - ويل ديورانت:قصة الحضارة،مرجع سابق ،ص25.

[5] - ويل ديورانت، المرجع نفسه، ص25.

المعاملة والتي ضدها الخشونة في المعاملة،فكلما اقترب أهل البادية أكثر من المدينة ،كلما بدأت بوادر الخشونة في الزوال لتحل محلها الرقة والليونة في المعاملة .

إلا أننا نجد من يفرق بين الحضارة والثقافة والمدنية،نبدأ أولا بالحضارة والثقافة ،«فالثقافة تحمل مدلولا أوسع من الحضارة فهي تطلق عادة على المعارف العقلية لدى الإنسان ،والثقافة في عادة سمة لحضارة أو شعب أو امة أو لغة أو حتى فرد.»[1]بمعنى أن الثقافة أوسع من الحضارة ،والحضارة عبارة عن ثقافات مشتركة ،وكل ثقافة تعبر عن هوية شخصية لحضارة معينة ،فالمعارف الثقافية من دين ولغة وعادات وتقاليد تختلف من حضارة إلى أخرى .

ويفرق أيضا المفكر البوسني "علي عزت بيجوفيتش" بين الثقافة والحضارة حيث يعتبر «أن الثقافة هي تأثير الدين على الإنسان،أو تأثير الإنسان على نفسه،بينما الثقافة هي تأثير إبداع الإنسان حتى يكون إنسانية أو كما يسميها بالفن فهو نشاط ذاتي تبرز فيه المجهودات الذاتية للفرد،أما الحضارة فهي فن العمل والسيطرة وصناعة الأشياء صناعة دقيقة، فالثقافة هي الخلق المستمر للذات بينما الحضارة هي التغيير المستمر للعالم».[2] بمعنى الثقافة تمثل المكنونات الداخلية والذاتية للإنسان ،فهي تعبير صريح عن شخصية الفرد ،بينما الحضارة هي رسم منهجية دقيقة ومضبوطة ووضع خطة عمل محكمة من اجل تحقيق ديناميكية مستمرة يسعى الإنسان فيها دائما للتغيير والتجديد الحضاري ،فهي عبارة عن فن عبر عن إبداع ذاتي ،وهنا يكمن الفرق بين الحضارات لان لكل شخصية حضارية إبداعها الخاص.

وكما ذكرنا أن المدنية هي تعبير عن الجانب المادي والتقني ومختلف الوسائل التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية،ومدى ازدهاره العلمي والاقتصادي والذي يحدد بواسطته ماهية حضاراته ،فلقد اعتبرت من طرف العديد من الباحثين على أنها مرادفة للحضارة ،إلا أن هناك من يفرق بين الحضارة والمدنية مثل "رالف لينتون" ،«فالمدنية هي الجهاز التقني الذي يملكه المجتمع، ويرى أن الحضارات تتشابه جدا في تكنولوجيتها وقد تختلف اختلافات ما في تكوينها الاجتماعي ودينها وفنها. وعليه يجب الفصل بين التاريخ الحضاري للأمم والشعوب. والمجتمعات وبين الدراسات التي تتناول تاريخ التطور العلمي والصناعي للجماعات البشرية، فللحضارة وحداتها البشرية المستقلة بينما للمدنية مسارها العالمي العام»[3]،بمعنى ان المدنية تمثل التطورات التقنية والتكنولوجية لمجتمع ما ،والشعوب تتشابه كثيرا

---

(1) - رولان بريستون:جغرافيا الحضارات،تر:خليل أحمد خليل ،بيروت ،منشورات عويدات ،ط1 ،1993 ،ص20.

(2) - علي عزت بيجوفيتش:الاسلام بين الشرق والغرب،ت،يوسف عدس،بيروت:مؤسسة العلم الحديث،ط،1994،ص94.

(3) - رالف لينتون: شجرة الحضارة،تر:احمد فخري،ج1،مصر:مكتبة أنجلو المصرية،ط،ص78.

في هذه التطورات أي أن الإبداعات التقنية لا تعبر عن الشخصية الحضارية ،فمثلا عندما ننظر إلى المجتمع الإنساني اليوم سنجد أن معظمه يوظف في حياته اليومية المنتوجات التقنية والوسائل التكنولوجية ،سواء كان ضمن المجتمعات المتقدمة أو في طريق التقدم أو المتخلفة ،إلا أنهم يختلفون من حيث المبادئ العقائدية والأنظمة الإيديولوجية والأصوات اللغوية ،وهذا الاختلاف هو الذي تتشكل على أساسه الحضارة .

وفي الأخير يمكننا القول أن الحضارة نشاط إنساني تعبر عن مجهوداته ومختلف أساليبه للارتقاء من الحالة البدائية الهمجية إلى الحالة الحضارية وفي ظل هذا المسار الانتقالي تتنوع طرقه ومناهجه في التطور، وما الثقافة والمدنية إلا وجهان لعملة واحدة وهي الحضارة،فالثقافة تمثل الجانب المعنوي من الحضارة كاللغة،والموروث الثقافي من عادات وتقاليد وأيضا الديانات ،والمدنية تمثل الجانب المادي والتقني وتعبر عن مدى التطور العلمي والتكنولوجي لحضارة ما. ومنه نقول أن الحضارة ديناميكية إنسانية تحمل جانبين الأول معنوي (الثقافة) والأخر مادي (المدني)، فالحضارة هي أعلى تجمع ثقافي،و المدنية هي ذلك المنجزات المادية القابلة للتنوعات الثقافية بمعنى أن الحضارة كيان يضم بين دفتيه الثقافة والمدنية،فالانتقال من مرحلة البداوة إلى المدنية يحتاج إلى ازدهار اقتصادي ،تمثل المادة عصبه الحي والتي تعتمد على قوة النشاطات والبحوث العلمية والقوة الاقتصادية ،أما الانتقال من المدنية إلى الحضارة فهيا تحتاج إلى السمو والتعالي الروحي والفكري والثقافي .

المطلب الثالث :تعريف الدورة الحضارية

تعتبر الدورة الحضارية مجموعة المراحل والفترات والأطوار التاريخية التي تمر بها حضارة ما ،أثناء حركتها ،من ميلاد ونضج وشباب وشيخوخة يعقبها فناء. فالتاريخ الإنساني حلقات متسلسلة شكل الحضارة إحدى وحداته فهي في سيرورتها لا تسير في تقدم ورقي مستمرين بل تجري إلى تأخر وانحطاط وهكذا دواليك.[1] بمعنى أن من خصائص هذا النظام أنه لا سكون له ولا وقوف ،فهناك حركة دائمة وتغير ودوران مستمر لا يدع شيئا يستقر على حال ،فكل صلاح يتبعه فساد ،وكل بناء يتبعه خراب ،وكل ربيع يكون بعده خريف ،وكل صعود بعده هبوط.

فهذه الحركات المتتابعة تمس الطبيعة ككل من إنسان إلى حيوان ونبات ،وبالتالي الحضارة تسري عليها ما يسري على الكائنات الأخرى فلا تزال أحداث هذه العالم تجري وتتحرك فيما يشبه حركة دورية فالولادة والشباب والشيخوخة والقوة والضعف النضارة والذبول ،كل أولئك وجوه مختلفة لتلك الحركة الدورية. وتبعا لذلك تنموا الحضارة

[1] - قسطنطين زريق : في معركة الحضارة و دراسة في ماهية الحضارة أحوالها الحضارية بيروت ،دار العلم للملايين ،ط1 ،1964 ،ص 289.

وتزداد قوة وشدة وتبلغ ذروة الرقيق والكمال ،ثم تعقبها حالة من الإدبار تتناقض فيها وتضعف وتضم حل ،وإن لنرى اليوم على كل بقعة من بقاع الارض أثار الأمم التي سبقتها وقد خلفت تلك الأمم من آيات حضارتها وتمدنها وصناعتها ،ما يبرز قوتها ورقيها ،إلا أنها ضعفت وسقطت عدت سوى ذكرى حضارية. [1]

والدورة الحضارية يراد بها تلك الرؤية القائلة بأن حركة الحضارة في تكونها ونموها ليست حركة صاعدة تزدهر بالتراكم والانتقال دوما من القديم إلى الجديد ،بل إن المسار الذي تتخذه هو مسار دائري ينطلق من نقطة ليعود إليها مرة أخرى تاليها (التاريخ يعيد نفسه) إن المسار التاريخ ليس تقدما للعقل البشري إلى ما لانهاية ،بل هو مسار دوري لعدد كبير من الحضارات يسري عليها ما يسري على الكائنات حيث تنبت وتنموا ثم تنضج وتفنى.[2] بمعنى أن الحضارة تعد كالكائن الحي الذي يجتاز مسار إلى أن يصل إلى فترة من حياته يصبح فيها ضعيفا عاجزا وسرعان ما يسقط ويفنى ،فعندما يعيش دورية الكاملة من ميلاد وسوء وشباب وكهولة وهرم فتدب فيه أسباب الفناء من مرض أو قدر محتوم فيموت وينتهي. وتعنى الدورة الحضارية تلك الحركات المتكررة لتاريخ الحضارة لأن التاريخ تحركه حركات دورية ،يكشف تكرارها عن قوانين وسنن تخضع لها الحضارة ،ونظام مضبوط يوجه مسارها ومحطات متكررة تقف عندها الحضارات لزاما فالحضارة كحدث تاريخي هي نتيجة حلقة من حلقات التاريخ المتسلسلة ،فعند فصل حلقة من حلقات السلسلة يتغير شكل السلسلة ويفسد ،وهكذا بالنسبة للحضارة ،فهي كل متكامل من أحداث التي تسير على وتيرة واحدة . ونظرية التعاقب الدوري للحضارات لا يعني أن التاريخ يعيد نفسه ويدور في حلقة مفرغة دون تجديد وإبداع ،بل على العكس أن القول بدورية الحضارة هو تطور إيجابي يوقن بالقدرة على السيطرة على التاريخ وتوجيهه ،والاشتمال على قيم ومباحث جديدة. وأيضا بناء منظومة فكرية فعالة فيما يتعلق بتفسير الظاهرة الحضارية والانخراط في أي مشروع نهضوي.

للحركة قانون ونظام يمكن أن يستنبط من مراقبة التجارب الإنسانية والحضارية السابقة ،ولها سنة ماضية وتيرة متوقفة تسمح برصد أخرها وتوقع النتائج من خلال استقراء المقدمات والتدقيق في الإرهاصات وهذا يعني إمكانية التخطيط للمستقبل. [3] بمعنى ان التفسير الدوري الحضاري هو بمثابة امتحان استدراكي للإنسان من اجل الارتقاء بحضارته أكثر و ذلك بتجنب ما أساء اليها في الدورة السابقة و كان سبب في سقوطها.

---

[1] - أبو علاء المؤدودي :نحن والحضارة الغربية ،الجزائر : دار السعودية للنشر و التوزيع ،د ط ،1988 ،ص ص 76-77.

[2] - مصطفى سامي النشار : فلاسفة أيقضوا العالم ،القاهرة ،دار قباء ،ط3 ،1998م ،ص 343.

[3] - بتول احمد جناريه : على عتبات الحضارة – بحث في سنن عوامل التخلف والانهيار – المرجع السابق ،ص22.

ويرى " كولن ويلسون " ان التفسير الدوري يضمن تحقيق فعالية التأثير في الواقع ،فالتاريخ يعيد نفسه من خلال إنتظام القوانين ،ولا يعيد نفسه في الأحداث التاريخية نفسها فالحركة الحضارية تحتاج إلى طاقة حتى تبلغ مستوى الفعالية ،والطاقة إن لم تحضى بحافز ينعشها تستنفذ وتتخامد وترتد إلى مستوى السكون بمعنى انها تعود إلى مسار الضعف والإنحلال وتتلاشى ،وتبرز طاقة جديدة ذات دفع مختلف لترسم مسار حضاريا جديدا وضمن هذه "الدورة" ترتسم حركة التاريخ الحضاري. [1] معنى ان كل دورة جديدة تكون مستوى فعالية اكثر.

ونفسه الرأي يذهب إليه " شبنجلر" حيث يشبه الحضارة بالكائن الحي العضوي وتبعا لذلك فإنها تمتاز بالصفات التي يمتاز بها الكائن الحي ،ويقسم الحضارة إلى ادوار ولكل دور من هذه الأدوار ما للفصول والنباتات من خصائص ،فإذا ما حققت الضارة كل التقدم ووصلت إلى القمة تطورها واستنفذت قواها الخالقة ،بدأت شيخوختها وانتقلت من حالة الحضارة بمعناها الدقيق إلى حالة المدنية ،فينطفئ النور الذي كان متوهجا بها من قبل شيئا فشيئا.

الحضارة عند شبنجلر يطلق على دور القدرة والإنتاج الروحي وهو ،دور الطفولة والشباب ،حيث تكون الطاقة والإنتاج أما الدور الثاني فهو دور الركود والإنتاج المادي ويمثل مرحلة " المدنية " ،ويرى أن الحضارة شيئ عظيم ولا يماثلها شيء آخر في العالم العضوي يقول :«**إن الحضارة هي النقطة الوحيدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق قوى الطبيعة ويصبح نفسه و خالقا** »[2] ،بمعنى ان الانسان في الحضارة يصبح سيدا على الطبيعة ،وتصبح الطبيعة آلة في يده من أجل التحضر والسمو والتطور ،فيشكلها كيفما يشاء ،ومنها يحقق حضارته ،وتقدمة وتطوره. ومعنى هذا أن كل الظواهر لها نفس الانطلاقة ونفس النهاية ،فهب تسير وتتحرك وتظهر وتتلاشى ،وتعود للظهور ومن نفس النقطة تبدأ وللنفس النقطة تنتهي ،ومن هذه الظواهر الحضارة ،كحدث تاريخي له سياق ومراحل وخصائص تميزها.

وكحوصلة عما ورد في هذا المبحث نقول ان نظرية التفسير الدوري الحضاري من اهم النظريات المفسرة للسياق الحضاري ،باعتبار ان الحضارة ظاهرة انسانية لها سننها و قوانينها التي تسير عليها حيث ترى هذه النظرية ان التاريخ يسير وفق دورات متتالية و متشابهة في النظام الذي تتحرك بمقتضاه ،بحيث تعود الأحداث السابقة من جديد و بأشكال متفاوتة ،أي ان الدورة الحضارية لا تحتم نفس النتائج دائما على الساحة الحضارية ،وهنا تكمن اهمية هذه

[1] - كولن ويلسون : سقوط الحضارة ،ت : أنيس زكي حسن ،بيروت : دار الأدب ،ط3 ،1982 ،ص 141.

[2] - أوزفالد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ،ج1 ،ترجمة : أحمد الشيباني ،بيروت ،منشورات دار مكتبة الحياة ،ط1 ،1964 ،ص 48.

النظرية حيث انها تضمن التخطيط الدقيق و العمل الصارم من اجل تفادي الوقوع في الأزمات السابقة و الاستفادة من التجارب الحضارية الفائتة.

المبحث الثاني :إرهاصات الدورة الحضارية

إن نظرية التعب الدوري ليست بالنظرية الجديدة على الساحة الفكرية والفلسفية وإنما لها بدايات أولى هي بمثابة البنية الأساسية التي كونت نظرية قائمة بذاتها لها مؤيدوها ومعارضوها من الفلاسفة والمؤرخين ،فقد كانت لها انطلاقات في الحضارات القديمة ،فما هي أبرز المؤشرات والدلائل المؤكدة لهذه المقولة؟

المطلب الأول :عند الحضارات الشرقية القديمة

إن الوعي بأهمية التاريخ ليس بالفكرة الجديدة ،وإنما بدأت منذ فجر الحضارات الشرقية القديمة ،حيث بدأ الإنسان يعي أهمية تسجيل الأحداث التاريخية و تفسيرها ،وتفسير الحضارة والتاريخ على أساس الادوار الحضارية منذ بدأ ظهور هذه الحضارات القديمة ،فمثلا الحضارة المصرية كانت ذات طابع لاهوتي ديني ،حيث أكملوا ،دورة الحياة بحياة أخرى بعد الموت ليكون فيها الحساب الإنسان على أعماله فيجازي إن كان خيرا أو يعذب إذ كان شرير فالخير والشر يحددان ماهية الحياة بعد الموت فقد تكون سعيدة وقد تكون تعيسة. [1]

ونجد أيضا الصينيين استندوا إلى تفسير التاريخ والأحداث على أساس دوري ،فقد كان يقيمون الاحداث مركزين في تفسيراتهم على الحاضر والماضي. ومن أشد المصطلحات شيوعا في الفلسفات الصينية هو " التاو" (tao) ،ويقصد بها الطريقة أو المنهج الذي يستدل به على الوحدة الكلية المطلقة للوجود ،وهذه الوحدة الكلية تشتمل على الموجودات من أجرام سماوية وكواكب والإنسان ،وهناك من يترجم "التاو" إلى "النهج" بمعنى الانتظام ،وبخاصة في عمليات الطبيعة وذلك نظرا لأن من يعيشون عيش الفلاحة يهتمون به من حيث تعاقب الفصول ،والترتيب المتجلي في نموا النباتات وإثمارها وتلفها وانتظامها ،وهذا المنهج كان له امتداد لتفسير التاريخ عند التاويين ،ففي القرن الثالث قبل الميلاد وضع " تساوين " (*trsouyen*) نظرية للتاريخ تقوم على "الدور" ،وتماثل التكرار الذي يحدث في عمليات الطبيعة ،ويحتوي سفر الصين القديم المسمى "سفر الشعائر" على فكرة مدارها مراحل ثلاث لهذا العالم.[2]

---

[1] - مصطفى النشار : من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ،قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان القاهرة ،دار قباء للطباعة والنشر ،د ط ،ص 25.

[2] - ألبان ويدجري : التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي ،ترجمة ،عبدالعزيز توفيق جاويد ،ج1 ،مصر : مكتبة الشيخ للمترجمين ،ط2 ،دت ،ص 25.

فالفلسفة التاوية تؤمن بمدى دورية الزمن أي أن كل شيئ في الوجود يمر بدورة كاملة تبدأ بالنشوء ثم الميلاد ثم الطفولة والشباب حتى تصل إلى مرحلة النضج والقوة القصوى ثم تبدأ بالانحلال إلى أن تصل إلى مرحلة الموت ،والتاوية عموما ترى أن لكون دائما ي حركة مد وجزر دائمة حركة (السلب والإيجاب) لأنها تقوم على مبدأين هما:

الين (*yin*) ⟵ حالة السلب ⟵ الجمود السكون

الينج (*yang*) ⟵ حالة الإيجاب ⟵ النشاط والفعل [1]

بمعنى (الين والينج) هي الثنائية التي يمر عليها الموجودات في الطبيعة ،لان التاريخ البشري هو تعاقب لصفتي السكون والحركة فلا سكون دائم ولا حركة ثابتة. والين والينج صفتان لا بد منهما في الأشياء والكائنات يجسدان مبدأ التاوية : باعتبارها نظام تسير عليه الموجودات وانتظام حركة الميلاد والنشوء والقوة والضعف ،فكل موجود في الطبيعة يمر بهذه المراحل في انتظام مصير ومحتوم فكل الأشياء تحيا في ظل مد وجزر بين الحركة والديناميكية و السكون ،الجمود .

ونجد أيضا في الهندوسية والبوذية إشارة إلى فكرة دورانية عامة التاريخ فسقر "الماهابهارات " يشير إلى ذلك ،فيرى أن التاريخ دورات وفي كل دورة أربع "يوجات" أي عصور ،فالعصر الأول هو عصر "الكريت" أو العصر الذهبي ،كل شيئ فيه بالغ حد الكمال واما الثاني فهو عصر"التريتا" فتصب فيه الفظيلة بالإنحطاط على حيث تنتشر في الثالث وهو " الدفابرا" الأمراض والخطايا وتزداد المراسيم الظاهرة وتصاغ القوانين ،وفي الرابع وهو الكالي ،أي اسفل الدرك في الدورة التاريخية ،فتسلط فيه ألآلام ويهمل الدين ،وعند نهاية يجري امتصاص كل شيئ في البراهم* " وتبدأ الدرة سيرتها الأولى مرة ثانية ،وهكذا دواليك[2] وقد ورد في سفر " الماها بهارتا " «أن مجرى الزمن الذي لا يقاوم يؤثر على الفانين وكل الأشياء الأرضية لدى نضويها تقاسي الفناء إن ولادة وفناء المخلوقات قد نظما لكي يحدث وفقا لطبعتها». [3] وهذا تعبير عن الحتمية التاريخية ،التي تجري في الزمن فكل ولادة يعقبها فناء وكل تطور يعقبه ضعف وهكذا ،فهذا قانون احياة الذي ليس منه مفر وهو ابجدية اساسية من أبجديات الزمن الي يتكلم بها مع موجوداته.

---

[1] - قسطنطين زريق : في معركة الحضارة ،المرجع السابق ،ص 180.

[2] - أليان ويدجري : التاريخ زطيف يفسرزنه من كونفوشيوس إلى توينبي ،مرجع السابق ،ص 68.

[3] - مصطفى النشار : من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص 82.

المطلب الثاني :عند اليونان

لقد عبر معظم فلاسفة اليونان الأوائل فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد عن إيمانهم بفكرة الأدوار التاريخية الحضارية فالتاريخ الإنساني يدور مع الدورات ميلاد وفناء ،وازدهار أو اضمحلالا.

وأول من عبر عن هذه النظرة " أنكيسماندريس " أحد الفلاسفة المنتمين إلى المدرسة الملطية التي اهتمت في البحث في الطبيعة إلى جانب عنايتها بالعلوم المعروفة خاصة الرياضيات والهندسة والفلك. فقد رأي " أنكيسماندريس "أن اصل الأشياء هو "الأبيرون" (*apeiroun*) أو "اللامحدود" وهو المادة الاولى التي تنشأ عليها الموجودات ،هو الذي تعود إليه فنائها ،فهو " العنصر أو العلية الأولى الأشياء "[1] ،بمعنى أن " الأبيرون " هو الجوهر الأولى للأشياء فمنها تخرج فهو بمثابة الخلية الأساسية في تكوينها وإليه تعود ،فهذا تجسيد للتطور الدوري للعالم الطبيعي فالأشياء مصدرها " الأبيرون" هي تجربة للعالم ثم تدخله وتعود إليه ويتكرر الدور هكذا.

ونفس التعبير يؤكده " هيراقليطس " فقد اشار إلى النظرية الدورية في العديد من المواقع حيث يقول : " الخالدون فانون ،والفانون خالدون واحد منهما يعيش بموت الآخر ويموت بحياة الأخر "[2] بمعنى أدوار الحياة والموت تنتقل بين الأشياء فكل حياة يعقبها فناء مهما كانت طويلة ،وكل فناء بعده حياة جديدة ،ولكل بداية نهاية فلا حياة دائمة ولا فناء ثابت ،وهكذا تنطلق دورة الحياة وقال أيضا «البدء والنهاية في محيط دائرة واحد»[3] أي أن الزمان دائري يدور بدورة بعد دورة دورة الحياة ودورة افناء على نحو دائري حيث أن الأشياء تعود إلى نفس النقطة دائما ونفس المعنى يؤكد بارمنيدس" حيث قال في قصيدته الشهيرة " الطريق الحق " :« إن كل شيء واحد من حيث أبدأ لأني سوف أعود إلى المكان نفسه»[4] بمعنى أن نفس المسار الذي يسلكه في الحياة سوف ينطلق منه ليصل إلى الفناء كالعجلة التي تنطلق من نقطة محددة لتدور دواليبها دورة كاملة لتعود إلى نفس النقطة التي بدأت منها ،فاليونانيون من فلاسفة ومؤرخين والذين يحتكمون في تفسيرهم الأحداث التاريخية ،ولمختلف السنن التي تسري على الموجودات ،على اساس الأدوار الحضارية لأن كل الأحداث تسري عليها قوانين ثابتة تبدأ من الولادة و النشوء و النمو و الاكتمال ،ثم بداية ظهور بوادر الفناء حتى يتدفق.

---

(1) - أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها القاهرة ،دار الأنباء ،دط ،1998 ،ص 53

(2) - مصطفى النشار : من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ،مرجع السابق ،ص32

(3) - أميرة حلمي مطر : مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ،القاهرة ،مكتبة مدبولي ،دط ،2003 ،ص 82

(4) - مصطفى النشار : من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص31.

المطلب الثالث :التمثيل القرآني (الإسلام)

تبرز الفلسفة الإسلامية أن للزمن حركتان حركة كلية وحركة جزئية ،وهي تحديد ذو إتجاه دائري يبدأ من مصدر واحد المطلق وهو الله تعالى " وإليه ينتهي كما أنها حركة قهرية لا تدخل الارادة الإنسانية أما الحركة الجزئية فهي دورية أي أن القيم فيها متبدلة على خط الزمن العام.[1] بمعنى أن حركتا الزمن الكلية يتحكم فيها الله سبحانه وتعالى فهو المسير والمدير للكون بكل أنظمته ،كما أن الحياة منه وإليه ،فالإنسان خلقه ليحيا في الدنيا ثم يعود ليبعث من جديد إليه ،وتحت هذه الحركة الكبرى أو الكلية تندرج حركة جزئية منبثقة منها وهي حركة الإنسان في ظل حياته في الدنيا التي تتبدل فيها أحواله وقيمه وحالة مجتمعة وحضارته وتنتقل من دور إلى دور ومن حالة إلى أخرى في ظل نظام محدد.

ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبرز المسار الدوري لحركة الوجود ،ومن ذلك قوله تعالى: «وتلك الأيام نتداولها بين الناس »[2] ،فهذه الآية هي شرح لقانون التداول الساري في الأمم ،وهو قانون يقتصي أن الشخص أو الأمة مهما بلغ قوتها أو ضعفها ،وشدتها أو رخاءها ،فإن حالها لا يدوم ،فإذا كانت أمة ضعيفة وأمة أخرى قوية سوف يأتي يوم يتناوب كل منهما في الدور (القوة والضعف) وورد أيضا في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تمثل ملاك الأمم. ونشوء أمم أخرى على إثر الهالكين ،مثل قوله تعالى : « لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون سلعة ولا يستقدمون »[3] بمعنى مهما كانت الأمة قوية وآمنة إلا أنه سيأتي يوم تفنى وتندثر فيه ،وقوله تعالى أيضا :«وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين »[4]. وقوله أيضا:«وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكم موعدا »[5].

فهاتان الآيتان الكريمتان تبرزان الشر والظلم والفساد كسبب في سقوط الدول واندثارها ،وبالتالي سوف تظهر أمم أخرى فسقوطها سبب في ظهور أخرى.

إن مصير الأمم ليس دائما الهلاك بالضرورة ،وإنما قد يتعرض للعذاب الشديد ثم يتجدد شبابه وتبحث في الحياة مرة أخرى وهذا ما يؤكده قوله تعالى :«وإن من قرية إلا نحن مهلكوها ،قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا

---

(1) - بتول أحمد جناريه : على عتبات الحضارة ،بحث في سنن وعوامل التخلق و الإنهيار ،مرجع سابق ،ص 18.

(2) - القرآن الكريم ،سورة آل عمران ،الآية 140.

(3) - القرآن الكريم ،سورة النحل ،الآية 61.

(4) - القرآن الكريم ،سورة الأنبياء ،الآية 11.

(5) - القرآن الكريم ،سورة الكهف ،الآية 59.

شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ».[1] بمعنى أن هناك نوعين من العذاب الدنيوي وهما " الهلاك النهائي " أو "العذاب الشديد" والعذاب ،الشديد ليس نفسه الهلاك لأن الأمة بعد عذابها تستطيع استدراك قوتها وعظمتها مرة أخرى ،لكن حضر سخط الله لن تستطيع الأمم تغيير سنة الله سبحانه و تعالى ،وعذابه.

هذا ما يؤكده ابن باديس في قوله :«القرى التي تقضي عليها بالهلاك والاستئصال هذه قد انتهى أمرها بالموت وفاتت عن العلاج مثل " عاد وثمود " من الأمم البائدة ،وأما القرى التي قضي عليها بالعذاب الشديد فهذه لا تزال على قيد الحياة فتداركها ممكن ،وعلاجها متيس ،مثل الأمة الإسلامية الحاضرة »[2] ،بمعنى كانت هناك أمم وشعوب قائمة ولأسباب ترفها وجبروتها أهلكها الله واقتلاعها من الوجود نهائيا بسب ذنوبها وإصرارها على المعاصي فلم تتبع هدي الرسل والأنبياء ،وإنما اتبعوا شهواتهم وتمسكوا بطغيانهم ولم يفتحوا باب التوبة مثل قوم عادو وثمود التي إعتبرها بن باديس من الأمم السابقة المندثرة ،إلا أن الله سبحانه وتعالى لا يعجل بالهلاك وإنما يعطي لأمم العديد من الفرص لتدراك الوضع الراهن وتغييره يسد ثغرات الضعف وإكمال فجواتها ،وهذا ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ،فالبرغم أن الأمة الإسلامية قد ذاقت العذاب الشديد وهو تعبير عن الصراعات الداخلية والخارجية التي تحياها إلا أنها لم تسقط لأن وظيفة المسلم التغيير والتجديد الحضاري والسعي لتحقيق هذا.

وفي الأخير نقول أن لكل شيء بداية و انطلاقة ،وبداية النظرية الدورية بدأت مع الحضارات ش.ق ثم اليونانية فالإسلامية ،التي تدور معظم تفسيراتهم على تناوب الحياة و الموت ،الظهور و الزوال ،القوة و الضعف الجمود والسكون ،الاستكانة و التغيير ،فكل هذه التفسيرات الدورية للأحداث و الظواهر كانت لها امتداد في تجسد المفهوم " الدوري " عند العديد من المفكرين و الباحثين و المؤرخين على مدار العهود الفلسفية ،حيث تشكلت نظرية التعاقب الدوري عندهم ،فلسفة قائمة بذاتها لها تفسيراتها و مبررتها.

[1] - القرآن الكريم ،سورة الإسراء ،الآية 59.

[2] - عبد اللطيف عبادة : مناهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير ،مجلة الموافقات ،العدد الثالث ،جان 1994 ،ص 312.

المبحث الثالث :تجسد فكرة الدور الحضاري عند الفلاسفة والمؤرخين

في ظل تشعب مبحث الحضارة وتعدد جوانبه ،تنوعت آراء المفسرين للحراك الحضاري فمنهم من جعل المادة هي التي تحرك الحضارة ،ومنهم من أكد أن الدين هو الذي يتكل الحضارة كيفما يشاء منهم اعتبر أن الحراك الحضري عبارة حلقات متسلسلة تعيد نفسها بدقة متناهية وفق سيرورة دائمة. فكيف برر الباحثون القائلون بهذه النظرية؟

المطلب الأول :التعاقب الدوري للحضارات عند ابن خلدون

يعتبر ابن خلدون مؤسس "فلسفة التاريخ" ، اتسمت كتاباته بالواقعية والاستقرائية وهي سمات التاريخ كما أنه ابتعد عن الفلسفة بمفهومها التقليدي القائم على الجدل إذ سعى إلى ان يجعل التاريخ فرع نوعي من فروع المعرفة يهتم بكل مجال الظواهر الاجتماعية للتاريخ الفعلي (عدم التاريخ للشخصيات سرد للأحداث من معارك و بطولات وإنما تمحيص الأحداث ونقدها ودراستها دراسة علمية و موضوعية) ،ويكشف المؤثرات المختلفة التي تعمل فيه وباستمرار الأسباب والنتائج وبالمكونات الطبيعية والنفسية ولم يكن مجد تسجيل للإحداث بل كان وصفا للعلاقات الاجتماعية الداخلية والخارجية ويتسم بدقة والموضوعية. [1]

فلقد اعتبره العديد من المفكرين والفلاسفة قامة فكرية وفلسفية تتسم بتفردها وحداثتها المتجددة على مر العصور، حيث يقول فيه "ارلوند توينبي" «كان ابن خلدون مبدع فلسفة التاريخ وهذا اسهام ناتج عن عبقرية لم تشهدها اية امة منذ مولده وحتى اليوم»[2] ،بمعنى أن "توينبي" يعتبر إن "ابن خلدون" شخصية فذة لن تتكرر ،ويبني هذا الاخير فلسفته في التاريخ على مقولتين هما:

1- الكلية ومعناها ارتباط المقدمات بالتاريخ العالمي أي البشرية عامة ،لديه حصيلة واسعة من المعلومات عن تاريخ المشرق المغرب العرب وعن الامبراطوريات القديمة وهذه المقولة بالذات تعبر عن انظرية في التعاقب الدوري (بداوة تحضر ،تدهور)[3] بمعنى انه قامة بسياسة التعميم في استقرائه للمجتمعات الحضارية ،أي نفس الأسباب و نفس النتائج (الحتمية الحضارية و التاريخية).

---

[1] - رأفت الغنيمي الشيخ :فلسفة التاريخ،القاهرة،دار الثقافة لنشر والتوسيع ،دط،1988،ص32.

[2] - اسماعيل سراج الدين :مع ابن خلدون في رحلته :القاهرة ،دار اخبار اليوم ط1، 2006،ص217.

[3] - رأفت الغنيمي الشيخ :فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص41.

2- **التعليل** :والتعليل في رأي ابن خلدون هو ربط الأسباب بالمسببات وهو تعليل باطني وليس ظاهري ،كما في العلوم الطبيعية حيث يقول أبن خلدون في مقدمته :«وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق »[1] فلا يمكن تغيير التاريخ بدون تعليل ،ولن تتحقق السنن والقوانين أيضا بدون تعليل.

والتعليل أيضا يجب أن يكون قابلا للتكرار في أطر حضارية أخرى ولا بد أن يكون عاما شأنه شان سائر القوانين ،ويجد ابن خلدون مبتدع نظرية التعاقب الدوري للدول في تاريخ الفكر الانساني من حيث بعدها الاجتماعي والفلسفي العام ،وقد توصل إلى الاقتناع بفكرة التعاقب الدوري الحضاري (الدولة عنده) وقارن في دائرة التغيير بين الإنسان والمجتمع . فالمجتمع في نظره عمر كعمر المرء الذي يولد ثم يكتمل نموه ،ثم يهرم ثم يموت ،وعلى هذا الأساس تمر الدولة بالمراحل التالية : (بداوة ،ازدهار ،تدهور).

إن الدولة كانت المحور الأساسي الذي تدور حوله ابحاث " ابن خلدون" ونظرياته ،إذ قاسها قياسا تام على عمر الفرد والمراحل وتطوره ،وجعل للدولة أعمار كما الأشخاص ،وهي النظرية التي تمثل جوهر فكرة في الدورة العضوية للدولة ،يقول بن خلدون في مقدمته «إن الدولة لها أعمار طبيعية كما الأشخاص » ويرى أنها لا تعدوا أعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر الشخص من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته[2] ،قال الله تعالى «**حتى اذا بلغ اشده وبلغ أربعين سنة**»[3].

ويقسم الدولة إلى أجيال:

1- **جيل البداوة** :يتميز هذا الجيل بالخشونة والعصبية ،حيث يقول «لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها من شطف العيش والبسالة والافتراس ،والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم»[4] ،بمعنى أن الجيل الاول هو جيل ينشأ عن البداوة والخشونة في التعامل ،ويتميزون أيضا بالتعصب القبلي ،فهم يتميزون بسلوكات غير متحضرة بعيدة كل البعد عن الرقة والسداد واللين في التعامل .

2- الجيل الثاني :وهو جيل الحضارة ،وابرز ما يميزه أنه تخلص من العصبية التي كانت تميزه في الجيل الأول ،حيث يقول :«والجيل الثاني تحول حالهم بالمالك والترفه من البداوة إلى الحضارة ،ومن الشطف إلى الترف والخصب ،ومن

---

[1] - رأفت الغنيمي الشيخ : فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص 42.

[2] - خالد فواد طحطح : في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص 82.

[3] - القرأن الكريم: سورة الأنفال الآية 16

[4] - عبدالرحمن بن خلدون ،المقدمة ،مرجع سابق ،ص 171.

الاشتراك في المجد إلى إنفراد الواحد به»[1] ،بمعنى أن هذا الجيل تحول من الخشونة والبداوة إلى الترفه والاستقامة وضبط السلوك ،وبالتالي هذا الجيل أسس لقيام المجتمع الحضاري ،لأن العقل هو المتحكم في أهل هذا الجيل ،وليست الغرائز والشهوات.

3- الجيل الثالث :ثم تأتي مرحلة الجيل الثالث تعرف بجملة من الأوصاف ولا تحصد عاقبة أصحابها ،لكونهم ينبون تماما خصال الشجاعة والبأس وسيتكونن إلى رغد العيش ويتخلون عن واجبهم في الدفاع عن دولتهم ،يقول ابن خلدون «أنا الجيل الثالث فينمون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنوه من النعيم وعصارة العيش ،فيصبحون عيالا على الدولة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة[2]»بمعنى أن الترف مظهر من المظاهر الحضارية وهدامها ،وتتجلى أثار الحضارة المفسدة للدول في حياة البذخ ،والترف ،فمكان الجيل الثالث الذين يتميزون بالترف يفتقدون حياة الجماعة والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ،فتفسد أخلاقهم وطبائعهم فينقلب التفاهم إلى تنافر والتعاقد إلى تخاذل والكفاح المشترك من أجل المصالح المشتركة إلى نزع وصراع من أجل المكاسب الفردية والشخصية ،فيظهر الظلم إلى جناب الترف وهما مظهران من مظاهر حراب العمران وسقوط الحضارة ،وذلك ما يشير إليه الله تعالى في سورة الإسراء الآية (16) «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا »[3] ،بمعنى أن الترف في المجتمع الإنساني إذا اقترن بالفجور والفسق والظلم حق على هذا المتجمع أن يندثر ويتلاشى .

وعلى هذا الأساس يقسم ابن خلدون الدولة إلى خمسة مراحل وأطوار:

المرحلة الاولى :تنشأ الدولة على انقاض دولة سابقة فتظهر بالحكم.

المرحلة الثانية :يتفرد بها صاحب السلطان بالحكم وحده.

المرحلة الثالثة :تسود الراحة والطمأنينة وتزدهر الدولة .

المرحلة الرابعة :تتحول الراحة إلى سكون ومسالمة ،ويكون الحاكم في هذه المرحلة مقتنع بما يحققه من إنجازات وأعمال.

---

(1) - عبدالرحمن بن خلدون ،المقدمة ،مرجع سابق ،ص 171.

(2) - خالد فؤاد طحطح : في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص 88.

(3) - على الوردي : منطق ابن خلدون ،الاردن ،دار الكوفان ،ط2 ،1994 ،ص 89.

المرحلة الخامسة : وهي تنمية للمرحلة السابقة ،وتتميز بالإسراف و التبذير ،فتبدأ الدولة في الهرم وستولي عليها المرض المؤدي إلى نقلها بسبب الترف ،فتفتقد هيبتها فتتحلل وتزول. [1]

بمعنى حركة التاريخ عند ابن خلدون هي حركة مستمرة من البداوة إلى الحضارة ،فالبداوة والحضارة عنده هو الطور الطبيعي أو جيل من اجيال الطبيعة في حياة المجتمعات ،فهو يرى أن المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من جراء التصارع بين البدوا والحضر.

وهو يرى أن ليس هناك دولة تبقى إلى الأبد قوية لا طلب عليها طابع الضعف ،لأنه يتصور الدولة لها عمر كعمر الأفراد تبدأ بالطفولة فهي مرحلة النمو ،ثم مرحلة الشباب وهي فترة القوة والحيوية ،ثم مرحلة الكهولة التي تتميز بالإنتاجية العقلية ،وبعدها مرحلة الشيخوخة أو الهرم التي تتميز بشتى أنواع الأمراض التي تنخر في جسد الدولة ثم تؤدي إلى زوالها وفنائها ،وعلى إنقاض هذه الدولة تظهر دولة أخرى وهكذا دواليك.

المطلب الثاني : الدورة الحضارة الحلزونية عند جيوفاني باتيستافيكو *:

تستند نظرية فيكو إلى تفسير الحضارات وفق منظورا التعاقب الدوري فقد انتهت من دراسة للحضارات القديمة وخاصة اليونانية والرومانية ويعض الحضارات الشرقية القديمة ،إلى قانون يحكم تطور الشعوب ،فالأمم في تطورها تتقدم وترتقي من الهمجية إلى الأديان ،قم تنتقل إلى الخضوع للقوانين والحكومات ،حتى تصل إلى مرحلة التعامل الإنساني في حياة اجتماعية منتظمة ،وكل الشعوب تمر بالتاريخ (الأبيرون عند اليونان العود الأبدي) في نشأتها وتطورها ونضجها ثم تدهورها وسقوطها ،هذه الدورة التاريخية التي تمر بها كل أمة تتعاقب في مراحل ثلاثة وهي المرحلة الإلهية والمرحلة البطولية ثم المرحلة البشرية[2]. وقد استند فيكو للعديد من المسلحات إثر تبنيه نظرية التعاقب الدوري للحضارات وهي كالتالي:

---

[1] - خاليد فؤاد طحطح : المرجع السابق ،ص 87.

* مؤرخ وفيلسوف ايطالي ،ولد في نابولي في 23 جويلية 1668 نشأ في أسرة فقيرة التحق في سن مبكرة بمدرسة الآباء اليسوعين وفيها درس اللغات القديمة خاصة اللاتنية اليوناينة كما درس الآداب والفلسفة المنطق واللاهوت ويعيش مؤلفة " العام الجديد " تعبير عن فلسفة حيث ينتقد فيه أصحاب النظريات القانون الطبيعي امثال : جوريون ،وسيلدن ،والمذاهب الرواقية والابيقوريين ،ويوجه نقده لهوبز وسبينوزا وجون لوك ،توفي في جانفي 1744. ينظر فلسفة التاريخ عند فيكو ،عطيات أبو مسعود ،ص8.

[2] - عطيات أبو السعود : فلسفة التاريخ عند فيكو ،الإسكندرية : دار منشأة المعارف ،دط ،1997 ،ص 95.

1- تبدو عصور التاريخ كما لو كانت ذات خصائص عامة ،فمع أن لكل عصر طابعه النوعي عن الذي تتضح تفصيلاته فإنه يبين العصور المختلفة خصائص مشتركة ،ففترة "هوميروس" على سبيل المثال في التاريخ اليوناني تشابه العصور الوسطى حيث الملاحم وعير البطولة ،وحيث يحكم ذو طابع استقرا طي ،كما يغلب على الآدب طابع الشعر الغنائي ويمكن إذن دراسة العصر الوسيط مع مقارنة سماته العامة باليونان القديمة[1].

2- كل فترة تاريخية تتبع أخرى على نفس الخط ففترات البطولة تعقبها فترة يود فيها الفكر على التخيل (الفلسفة على الأدب) ،والنثر على الشعر والصناعة على الزراعة وأخلاق السلم على أخلاق الحرب .

3- إن الحركة الدائرية بين هذه الأدوار تعني أن مسار التاريخ كعجلة تدور حول ذاتها ولكنها حلزونية الأن التاريخ لا يعيد نفسه على النفس النمط ولكنه يأتي بصورة جديدة في شكل مخالف لما سبق ومن هنا فأن بربرية اليونان القديمة مثلا تختلف عن بربرية العصور الوسطى اختلاف الوثنية عن المسيحية[2]؛ بمعنى أن "فيكو" يتصور التاريخ ضمن التصور الحلزوني :وهو التصور الدائري العائد إلى أعلى فالتاريخ إذا اكمل الحضارية لا يعني أنها سوف ترتد إلى البداية نفسها بنفس الأساليب ونفس المميزات ،فكل مرحلة متطورة عن سابقتها فإن اشتركت في التعبير الدوري لا يعني انها تشترك في الماهية والخصائص وقد قسم فيكو التاريخ البشري إلى أدوار ثلاث هم :

1- دور أو عصر الآلهة
2- عمر الأبطال
3- عصر الإنسان

وعمم فيكو هذه الأدوار الثلاثة على جميع الأمم والشعوب في جميع العصور فكل أمة في نظره تنتقل في تاريخها من دور الآلهة إلى دور الأبطال فدور البشر وعندما تبلغ غايتها من الدور الأخير تعود مرة أخرى إلى دور الآلهة وتبدأ كذلك دورة جديدة على شاكلة هذه الدوائر الأزلية الأبدية ،في سير تذبذبي أو حلزوني ،ومن ثمة طبق فيكو هذه الآراء ،وهذا التقييم على التاريخ اليونان والرومان والقرون الوسطى.

[1] - مصطفى النشار :فلسفة التاريخ ،القاهرة ،شركة الأمل للطباعة والنشر ،ط1 ،2004 ،ص 81.
[2] - مصطفى النشار :المرجع نفسه ،ص 81.

عصر الآلهة :وهي مرحلة الأولى من مراحل الدور الحضاري وفي هذا العصر تولد الخرافات والأوهام والأساطير وسيطر على الإنسان الخوف الشديد من ظواهر الطبيعية ،ويخضع السلطة الآلهة معتقدين أنها الإرادة الواحدة الوحيدة التي ليس حمدها الإرادة ،وتكون طباع البشر والشعوب خلال هذه الفترة فضة وغليظة.

عصر الأبطال :بعد نمو الوعي الإنساني بعض الشيء تنتقل إلى عصر الأبطال أين يحكم رجال الحرب والسياسة السلطة منتزعين إياها من رجال الدين والكهوف ،ويتأسس بذلك نظام لأرستقراطي مستبد يسخر هذا النظام لخدمته الطبقية الغنية وهذا ما يؤدي بدوره إلى خلق صراع بين الطبقية الحاكمة المستبدة والطبقة المحكومة[1].

عصر الإنسان :بمبدأ هذا العصر بوعي الناس بحقوقهم واعترافهم أنهم متساوون في الحقوق والواجبات بالطبيعة وخلال هذه الفترة يحصل الإنسان على حقوقه الكاملة كمواطن حر بالتدرج وتظهر الديمقراطية ،كناظم جديد (ممارسة السلطة واشتراك الشعب في اختيار ممثليه وإن على مراحل ،وتنتشر قيم لم تكن موجودة سابقا مثل الحرية والمساواة والعدالة بين الناس وتسقط خلال هذا العصر الدكتاتورية والنظم الاستبدادية الظالمة[2] .

وهذا العصر كما يراه فيكو يتضمن بذور انهياره وفنائه إذ أن الديمقراطية وإعلان المساواة بين الأفراد الدولة لا تلبث أن تقري العامة بالتطرق في المطالبة بحقوقها والتمادي في ذلك إلى أبعد الحدود وذلك يزيد من حدة الصراع والمنافسة بين طبقات المجتمع بدلا من أن يخفف منه فينتج عن ذلك ضعف الروابط التقليدية بين الطبقات الاجتماعية وتكن الفوضى والمشاكل وتزداد الفتن وتنتشر الصراعات والحروب والاقتتال والتطاحن فيكون الانحلال والفساد الذي يؤذن بانتهاء الدورة الحضارية كلها فإذا وصل المجتمع إلى مثل هذه الحالة من التدهور والتردي تعذر تماما الإصلاح الداخلي فلا يبقى إلا الغزو من الخارج يوافقه انحلال من الداخل يعود بعده المجتمع إلى بربرية عامة لتبدأ دورة حضارية جديدة أعلى من سابقتها متدرجة من عصر الآلهة إلى عصر الأبطال إلى عصر الإنسان وهكذا دواليك . تضحي الحياة الإنسانية في دورة دائمة[3] ،ولقد مرت جميع الشعوب القديمة بمراحل هذا التطور وهذه الصفة الدورية للتاريخ ملازمة الإنسان.

بمعنى أن فيكو يرى أن المجتمعات الإنسانية تمر بحلقات حضارية على شكل دورات منه قسم فيكو التاريخ إلى عصور ومراحل أولا عصر الآلهة والتي يستند فيها الأشخاص إلى الجانب الميثولوجي أي الديني بحكم أن السلطة

(1) - عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو ،مرجع سبق ذكره ص96.

(2) - عطيات أبو السعود: المرجع نفسه ،ص97.

(3) - خالد فؤاد طحطح : في فلسفة التاريخ ،مرجع سابق ،ص 92.

والوحيدة ،وتتسم بتغيرات أسطورية خرافية ،وثانيا عصر الأبطال ويطغى على هذا العصر الجانب السياسي ويبرز النظام الأرستقراطي كأرقى نظام سياسي وهو خادم للطبقة الحاكمة والمهنية في المجتمع ،وثالثا العصر الإنسان " أين يتفطن الناس بأهمية المطالبة بحقوقهم ،وتأطيرها تحت نظام يحفظها لهم ،فيبرز النظام الديمقراطي وتنتشر القيم الفاضلة ،إلا أن في هذا العصر وعلى إثر التمادي في المطالبة بالحقوق تزداد الصراعات الداخلية التي تسهل الغزو من الخارج الذي يكون عليه من السهل أن يعطي الضربة القاضية للمتجمع فيها ويفنى في الظهور مجتمع آخر على انقاضه ،فالمجتمع يمر بفترات متعاقبة من الازدهار والتطور الذي يعقبه بالتأكيد انتكاس وزوال.

المطلب الثالث :الدورة البيولوجية وحتمية سقوط الحضارات عند شبينجلر

يتفق شبينجلر مع ابن خلدون في تشبيه الحضارات في اضمحلالها وازدهارها بالكائن الحي حيث يقول«أن كل حضارة تمر بمراحل العمر ذاتها التي يمر بها الفرد،فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها»[1] ،بمعنى أن الحضارة مثل الكائن الحي تندرج في مراحل نموها مثله تماما من طفولة وشباب وشيخوخة وفناء،فالحضارة في مفهومها عند "شبينجلر" كالكائن العضوي وتزدهر وتنمو في الأخير تشيخ وتموت.

والحضارة عند "شبينجلر" تتبع مراحل وأطوار معينة من نمو ونهوض وسقوط وموت لتعيد نفسها وكرتها من جديد،وهذا ما يؤكده في قوله« فكل شيء منظم كادراك الولادة والموت والشباب والسن والعمر،وان العصور والمراحل والأوضاع تكرر ذاتها كنماذج حقيقية[2] » بمعنى أن ظاهرة الحضارة بحوادثها وتعيد نفسها بكل مراحلها وتفاصيلها مثلما تعيد دورة الحياة للكائن الحي كرتها فكل مرحلة يظهر مجددا وان لم تعد نفسها على نفس المنوال فان الذي يظهر من جديد مظاهر موازية للأولى ويؤكد " شبينجلر" أن الحضارات مهما بلغت قوتها سوف تسقط وسقوطها يكون نتيجة دخولها مرحلة المدنية ويقل الاهتمام في الجانب الروحي بعدما حققت الروح كل إمكانياتها وهذا ما يؤكده في قوله «تموت الحضارة حينما تكون الروح قد حققت جميع ما بها من إمكانيات على هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية ودول وعلوم ومن ثم تعود إلى الحالة الروحية الأولية »[3] ،بمعنى إن الحضارات تدخل زمن شبابها وازدهارها عندما تكون الروح هي المسيطرة ويقصد بروح المكانة الدينية التي تعكسها بطولات وازدهار حضارة ما فعندما يظهر التفسخ الروحي في الحضارة تبدأ في السقوط ،فميلاد الحضارة عند " شبينجلر" مرتبط بالحصانة والمتانة الروحية التي

---

[1] - اوزفلد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ،مرجع سابق ،ص40.

[2] - مصطفى سامي النشار :فلاسفة ايقضوا العالم ، مرجع سابق،ص347.

[3] - اوزقالد شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ،المرجع السابق ،ص48.

تضمن الإبداع والعطاء فعندما تدخل الحضارة طور المدنية التي تطغى فيها الجوانب المادية والتكنولوجيا على حساب الجانب الروحي،تسقط وتنهار الحضارة وكل الحضارات تمر بهذه المراحل ومن نشوء وشباب الذي يتميز بالازدهار والشيخوخة التي تطغى فيها الجوانب المادية على الروحي ومنه تنبأ بسقوط الحضارة الغربية لأنها قطعت كل أشواطها من ميلاد وشباب والدخول في مرحلة المدنية ولا يزال لها سوى الاضمحلال.

ويرى "شبينجلر" إن لكل من حضارات المجتمع الإنساني تختلف عن الأخرى حي يقول «لكل حضارة فلسفتها الخاصة»[1] ،بمعنى أن لكل حضارة خصوصياتها ومبادئها ولها تعبيراتها وإمكاناتها الذاتية ،والحضارات تشترك في أن لكل حضارة يسري عليها القانون الدوري من نشوء إلى اضمحلال ،وكل حضارة تسير في سياق واحد وهو سياق التاريخ.

وصفوة القول أن نظرية التعاقب الدوري الحضاري من أبرز النظريات المفسرة للسير التاريخي ،فلقد استحوذت على العديد من المفكرين و الفلاسفة من تأطير وتنظيم ،ولقد اتفقوا ممثلوها على أن الحضارة الانسانية لا تأخذ المسار الخطي والتقدمي في تفسير التاريخ ،بل تتخذ شكل دورات متتالية ،مشكلة حلقات ضمن السلسلة الحضارية التاريخية ،وان اختلفوا في بعض المبررات و المبادئ لأن لكل فيلسوف عصره ومنطقه وعقيدته الفكرية والدينية والسياسية.

فلقد سعى ممثلوا هذا الاتجاه في التفسير الحضاري إلى تتبع أسباب قيام الحضارات والعوامل المساهمة في نشوئها،ورصد أهم الأسباب المؤثرة في تدهورها وسقوطها مؤكدين بذلك أن للحضارات عمر يبدأ بميلاد والنشوء وينتهي بالمرض والفناء،إلا انه يمكن استبعاد الفناء بتجاوز أسباب المرض الذي ينخر في جسد الحضارات.

[1] - مصطفى سامي النشار :فلاسفة أيقضوا العالم،مرجع سابق ص34.

الفصل الثاني

مفهوم الدور الحضاري عند مالك بن

- **المبحث الأول** :مفهوم الحضارة عند ابن نبي
- **المبحث الثاني**:مفهوم الدور الحضاري البناني
- **المبحث الثالث**:مراحل الدور الحضاري عند مالك بن نبي

شكلت الحضارة نقطة إستراتجية في فكر "مالك بن نبي"، فهي الفكرة الأساسية التي تتمحور عليها أفكاره الاجتماعية و الثقافية و التربوية، وحتى السياسية والاقتصادية، وكانت هي المدخل المنهجي الذي اتخذه "مالك بن نبي" في بحث الواقع الاجتماعي للأمم والشعوب، مؤكدا أن مشكلة أي شخص أو أمة مشكلة حضارية، فعلى هذا الأساس أدرج معظم مؤلفاته تحت عنوان فرعي هو مشكلات الحضارة. وقد عالج مشكلات الحضارة على ضوء تجليات الماضي ومعطيات الواقع و رهانات المستقبل، وهذه القاعدة الثلاثية (ماضي، حاضر، مستقبل) التي استند عليها في علاج مشكلة الحضارة جعلت منه يفسر الحراك التاريخي بالقانون الدوري للحضارات. فعليه نتساءل ما هي الحضارة عند مالك بن نبي؟ وما هي محددات وخصائص ومراحل الدور الحضاري عنده في بناء حلقة حضارية تفاعلية؟.

المبحث الأول :مفهوم الحضارة عند بن نبي.

تعتبر الحضارة المشكلة الأساسية في فكر مالك بن نبي حيث اعتبر مشكلة أي شعب أو امة هي مشكلة حضارية فحاول تأطيرها وإعطاء تفسيرات عميقة و محكمة في تبيين ماهيتها، لهذا عرفها من عدة جوانب فقد اعتبرها ذلك الكل الذي يحوي على عناصر فكرية ونفسية ووظيفية واحتكم في شرح تركيبها إلى عناصر أساسية. ومنه نتساءل كيف عرف مالك بن نبي الحضارة؟ وما هي المهمة المنوطة لكل عنصر من عناصرها في التفعيل الحضاري؟.

المطلب الأول : تعريف الحضارة عند بن نبي .

تعتبر الحضارة المشكلة الأساسية في فكر مالك بن نبي فقد اعتبر مشكلة أي شعب أو أمة هي مشكلة حضارية ،فحاول تأطيرها وإعطاء تفسيرات عميقة ومحكمة في تبيان ماهيتها ،لهذا عرفها من عدة جوانب ،وقد اعتبرها ذلك الكل الذي يحوي على العناصر الفكرية والفاعلية النفسية و الوظيفية،واحتكم في شرح تركيبها إلى ثلاث عناصر أساسية وهي الإنسان و التراب والوقت ،فعليه نتساءل ما هي الحضارة عند بن نبي وما هي مهمة كل عنصر تركيبي في التفعيل الحضاري ؟

الحضارة كما يعرفها مالك بن نبي «هي إنتاج فكرة حية تطبع على المجتمع نظامه الفكري طبقا لنموذج مثالي الذي اختاره وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى »[1] بمعنى أن للأفكار دور الحضارة عند مالك بن نبي خصوصا إذا كانت حية أي بناءة تمتاز بالحيوية تسعى إلى تحقيق الفعالية في المجتمع ،وبهذا يدخل المجتمع الطور الحضاري ،فالأفكار الحية تكون فاعلة ومتينة النتائج.

والحضارة عند بن نبي هي حماية للإنسان من التوحش والهمجية ودفعة قوية للتقدم والرقي ،حيث يقول «إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية »[2] بمعنى أن الحضارة جهازا مناعيا يقف ضد كل رغبة في الانكماش أو التكاسل وتدفع الإنسان لإثبات ذاته ،و الإسهام في تشكيل حضارته و تفعيلها.

---

(1) - مالك بن نبي،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،تر: محمد عبد العظيم علي ،دار الفكر ط1970،1ص49

(2) - شايف عكاشة،الصراع الحضاري ،دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند بن نبي ،دمشق،دار الفكر د ط 1986ص13

لقد عرف مالك بن نبي الحضارة من عدة جوانب:

التعريف الوظيفي:

«هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه ،فالمدرسة ،المعمل المستشفى ،نظام شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر ،واحترام شخصية الفرد تمثل جميعا أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه»[1] فعلى هذا الأساس يقسم مالك بن نبي الحضارة إلى أطوار تبدأ في مرحلة الطفولة وتنتهي بمرحلة الشيخوخة وعلى هذا إن كل شعب من الشعوب قام بواجباته نحو مجموع أفراده وأبنائه ،فصان لهم كرامتهم وعزتهم ووقارهم ووفر لهم سبل العيش الكريم من غذاء صحي نافع وسكن لائق وفتح لهم أبواب الانفتاح والتنمية لقدراتهم العقلية وتنمية مواهبهم الفنية ،واعتنى بالنوابغ أبنائه ،قدر علمائها ،تقول عنه شعب أو مجتمع متحضر ،فهي بهذا المعنى تسعى لحفظ النوع الإنساني وتنمية مختلف جوانبه المشكلة له (الجانب البيولوجي والسوسيولوجي والسيكولوجي).

الحضارة كصناعة ذاتية:

يرى بن نبي الحضارة هي صناعة ذاتية من طرف شعب معين ،بمعنى أنه لا يستوردها من الخارج ،أي أن مجرد استيراد للمنتوجات من الخارج هو طمس للهوية الحضارية للشعب ،حيث يقول «تقليد حضارة أخرى لا يصنع حضارة حقيقية ،بل يصنع صورة حضارة فمجرد شراء الأشياء من الناحية الكمية أو الكيفية ولا يكفي لصنع حضارة حيث أن شراء الأشياء لا روح فيها تصنع حضارة شيئية»[2] بمعنى أن الحضارة عملية أصلية خاصة بشعب معين دون تقليد أو تكديس منتجات الآخر فالحضارة لا تستورد من الخارج أيا كان هذا الخارج متقدم ومتطور إنما الحضارة تنتج فهي فعالية إنتاجية مرتبطة بالذات لا بالآخر ،فهي نتيجة الجهد الذي يبذله كل يوم الشعب الذي يريد أن يتحضر.

[1] - مالك بن نبي: أفاق جزائرية ،تر: شريف الطيب ،بيروت ،دار الارشاد ،ب ط ،1970 ،ص 43

[2] - شايف عكاشة: الصراع الحضاري،دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند بن نبي ،مرجع سابق ،ص51

التعريف التحليلي:

رسم مالك بن نبي الحضارة وكأنها معادلة رياضية حيث يقول:«الحضارة هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على المجتمع في مرحلة قبل التحضر الدفع لتي يدخل بها التاريخ ،وكل نتاج حضاري تنطبق عليه الصفة التحليلية التالية تناج حضاري = إنسان +تراب +وقت»[1] بمعنى أن الحضارة هي تلك الأفكار والإنتاجات الإنسانية التي تنقل الفرد من كفة الهمجية والبدائية والتخلف إلى كفة التحضر والتقدم العقلي والفكري والعلمي فبداية الحضارة مرتبط بتلك الأفكار الفاعلة التي تصنع الفكر الحضاري ،والنتاج الحضاري حسب بن نبي يقوم على ثلاث صيغ أساسية إنسان+تراب+وقت.

الحضارة كظاهرة تاريخية:

إن الحضارة عند بن نبي من الناحية التاريخية أي من ناحية تكررها بصفتها ظاهرة في التاريخ الإنساني «هي عبارة عن تنظيم للمجتمع على قواعد أخلاقية يجعله يبلغ مستوى القدرة على مواجهة جميع أعبائه وبواسطة وسائل تعد منقوصة على وجه الإجمال إذا قارناها بالوسائل التي تقع في حوزة بلدان نامية»[2] بمعنى أن تلك القواعد الأخلاقية التي تحدد خصوصية الحضارة وتميزها عن غيرها ،والقواعد الأخلاقية في جوهرها قواعد دينية بمعنى أن الأخلاق مصدرها الدين.

الحضارة كفعالية:

يؤكد بن نبي أن الفعالية هي المعيار الأساسي للتوجه الحضاري في السياق الثقافي و الاجتماعي والتاريخي حيث يقول :«الحضارة هي القدرة على القيام بوظيفة أو مهنة معينة»[3] بمعنى أن الحضارة الحقيقة تستلزم انخراط قويا

---

(1) - مالك بن نبي: شروط النهضة،تر: عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ،القاهرة ،دار الجهاد ط1 1957 ص64

(2) - مالك بن نبي: آفاق جزائرية ،مصدر سابق ،ص55

(3) - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص50

للمجتمع كله في التوجه نحو ذلك الهدف أو القيام بتلك الوظيفة ،وبدرجة عالية من الفعالية ،والحضارة لا تقوم إلا إذا شرع الإنسان في بنائها بفعالية كبيرة وكلما كانت قواعد هذا البناء محكمة تجسد في الواقع مشروعه الحضاري وحقق المنفعة العامة والخاصة.

فالحضارة عند بن نبي مجموعة من المبادئ المتداخلة التي تساعد الإنسان على التطور والنمو وتحقيق الارتقاء الحضاري ،إذ يرى أنها مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يضمن ويوفر لكل لأعضاء المجتمع جميع الضمانات ،والمستلزمات المساهمة في تطويره ونموه ورقيه الحضاري ،في كل طور من أطوار حياته.

الحضارة ككل متكامل ومنسجم:

إن الحضارة في أبسط تعريفاتها عند بن نبي «ليست كومة من الأشياء المختلفة والمتنوعة وإنما هي كل منسجم من الأشياء والأفكار ومن العلاقات والمنافع و السمات وهي بناء وهندسة وتجسيد لفكرة أو مثل أعلى. ولذلك فكل حضارة في التاريخ سماتها المميزة »[1]. بمعنى أن الحضارة عند بن نبي هي امتلاك أفكار محفزة وطاقات مشحونة تسعى للبناء وتتصف بالإيجابية والفعالية ،أي أنها أفكار بناءة تهدف إلى الخير والصلاح ولا يجب أن تكون مسجونة في العقل وإنما يجب أن تحركها الإرادة الإنسانية من أجل الفعالية ،وتطبق على ارض الواقع .

فالحضارة عند بن نبي بصفة عامة هي انتقال الفرد من طور البدائية إلى الطور الحضاري ،وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تميز بها في مراحله الأولى من حياته وتحويلها إلى مجرد كتلة من القدرات والصفات الفطرية المتشابكة ،إلى شخصية وذات تعي هويتها الاجتماعية ومهمتها في إطار أفكار وسلوكات متعارف عليها تساهم في التنمية الحضارية. والفرد الذي تقوم عليه الحضارة لا ينبغي أن يكون أنانيا في تفكيره وتكوينه وفلسفته ،وإنما يجب أن يدرك تمام الإدراك أنه ضمن نسيج اجتماعي وحضاري قائم على التكامل والتفاعل والإنتاج ،أي أنه يدرك أنه في نطاق اجتماعي.

المطلب الثاني :عناصر الحضارة عند مالك بن نبي

[1] - مالك بن نبي:الفكرة الأفرو أسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ،تر: عبد الصابور شاهين ،القاهرة مكتبة دار العروبة،ط2 ،،1957،ص79.

إن الأساس الذي يقوم عليه فكر بن نبي ينطلق من ضرورة وجود إنسان قابل للتحريك ،والمحاولة المستمرة للنجاح ،يضاف إليه وجود محدود أو وحدة ترابية أو إقليم يمكن تأسيس الفعل الحضاري إضافة إلى عامل الزمن أو الوقت بصفته عاملا مهما يحدد مدى نجاعة هذا الفعل و استمراريته. فشروط الحضارة عند بن نبي هي:

1- الإنسان

2- التراب

3- الوقت

1- الإنسان بوصفه العنصر الأهم في العملية الحضارية:

يحتل الإنسان مكانا مركزيا في نظرية الحضارة عند بن نبي ،فهو يمثل الجهاز الاجتماعي الأول فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ فهو النواة الأولى للتكوين الحضاري[1] . بمعنى أن الإنسان روح كل اجتماع حضاري و بدايته، وقيمة أي حضارة يحددها هو وحده، لأنه بحركته الايجابية سوف يشيد صرح حضاري عظيم و إذا استكان و ضعف سوف يتلاشى هو و بناءه الحضاري.

ولكي يحدد بن نبي الشروط التي تتطلبها الحضارة والسنن التي تتضمنها فقد طرح سؤالين يتصلان بالكيفية التي يؤثر فيها الإنسان في هذه الحضارة ،السؤال الأول :كيف يؤثر الإنسان في محيطه الاجتماعي ؟ أو بمعنى آخر: ما هي الوسائل والقدرات التي يؤثر الإنسان بواسطتها في مجتمعه ليحدد مكانه في هذا العالم؟ والسؤال الثاني : كيف يمكن توجيه هذه الوسائل والقدرات بطريقة تمكن من إنجاز الحضارة ؟

تأمل بن نبي الطاقات الاجتماعية التي توجه الأفراد والمجتمعات فوجد أنها تؤخذ إنما تتمثل في عناصر ثلاث هي اليد والقلب والعقل ،حيث يقول :«فكل طاقة اجتماعية تصدر حتما من دوافع القلب ،ومن مصوغات وتوجيهات العقل وحركات الأعضاء[2] بمعنى أن هذه العناصر مجتمعه تتولد منها الفعالية التي هي تعبير عن استيعاب الفرد لمصوغات وجوده واجتهاده في تأكيد ذلك الوجود ،ويحدث هذا غالبا عندما يدخل مجتمع ما في طريق الحضارة ،فاليد بالعمل و العقل بالتفكير و القلب بالنية الصادقة والإرادة القوية.

[1] - مالك بن نبي : الحديث في البناء الجديد ،تر: عمر كامل مسقاوي ،بيروت ،منشورات المكتبة العصرية ،دط ،1977 ،ص50.

[2] - فوزية البيرون : مالك بن نبي ،عصره وحياته ونظريته في الحضارة ،دمشق دار الفكر ،د ط ،2010 ،ص211.

وعلى هذا الأساس فإن الإجابة على السؤال الأول حسب بن نبي فان الإنسان يؤثر في محيطه الاجتماعي عن طريق ثلاث وسائل:

أولا :بفكره =أفكار حية ذات فعالية إنتاجية.

ثانيا :بعمله =مختلف المجهودات المبذولة من أجل الدخول في إظهاره.

ثالثا :ماله =يشمل الوسائل المادية.

وانطلاقا من هذه الفرضية ،فقد رأى "بن نبي" أن التخطيط من أجل توجيه طاقات الفرد في اتجاه الحضارة يستلزم أو توجيه "الثقافة" ثم توجيه "العمل" وتوجيه "المال" ،ويعرف مالك بن نبي مصطلح التوجيه بأنه «تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت»[1] بمعنى التخطيط الدقيق من اجل الدخول في مرحلة الحضارة فهو يقصد من فكرة التوجيه لفت الأنظار إلى معنى الانسجام في حركة المجتمع نحو هدف معين ،فالمجتمع المزدحم بالأفكار الغير منظمة ،أو الذي لا يعرف من أين انطلق وغايته من الانطلاق ،ينتهي به الأمر إلى الدوران حول نفسه.

ويقول بن نبي أيضا «التوجيه بصفة عامة قوة في الأساس ،وتوافق في السير والوحدة في الهدف ،فكم من طاقات وقوى لا تستخدم لأننا لا نعرف كيف نكتلها ،وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها ،حين نفس قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر متجهة إلى نفس الهدف»[2] بمعنى أن التوجيه ينمي الحضارة وبفعلها ،حيث هناك العديد من الطاقات الفاعلة في الفرد بقيت كامنة فيه لأنها لم يوجهها توجيها صحيحا ،فتآكلت وتبدلت دون الوصول إلى الغاية المرجوة. فالتوجيه عند بن نبي عملية منضبطة تتطلب التخطيط الذي يعد منهجية لأزمة لشؤون العالم المعاصر ،وبواسطته يمكن التأثير في الأوضاع النفسية والاجتماعية للمجتمع ،فالتخطيط يساعد على الربط بين المشكلات بصورة منطقية ومنهجية سليمة.

وتوجيه قدرات الإنسان الرئيسية الثلاثة (الفكر ،العمل ،المال) إنما يتبع في رأي بن نبي من خلال توجيه "الثقافة" بالدرجة الأولى ،وذلك بصفتها المؤثر الأكبر في حياة الإنسان باعتباره كائن اجتماعيا مؤسس

[1] - مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 83.

[2] - مالك بن نبي : المصدر نفسه ،ص 84.

للمجتمع[1]فكل من الإنسان والمجتمع منتج للثقافة وناتج عنها ،وأي خلل أو تخلف تعانيه الحضارة ليس إلا نتيجة خلل أصاب الثقافة التي تؤدي وظيفة جوهرية ،يقول بن نبي: «الثقافة هي الدم في جسم المجتمع ،يغذي حضارته ويحصل أفكار النخبة كما يحصل أفكار العامة»[2]فالثقافة هي صمام الهواء للحضارة والمجتمع الذي تتنوع طبقاته من عامة الناس والطبقة النخبة المثقفة ولذلك فإن محاولة لإصلاح أي مجتمع إنما تبدأ بثقافته ،التي هي السبيل الأول لبلوغ الحضارة.

فهناك علاقة وثيقة بين الثقافة والحضارة عند بن نبي وتبرز أهمية الثقافة عنده باعتبارها ذات علاقة وظيفية بالحضارة فهي تهيئ لقيامها وتحافظ على استمراريتها ،فالثقافة تعيد البناء الحضاري بواسطة منهج تربوي يحدد أسلوب حياة المجتمع وسلوك الأفراد. والإطار الاجتماعي هو الذي يشكل المناخ الثقافي الذي يعيش في إطاره الفرد ويتأثر به ،وينعكس ذلك في تكوينه وسلوكه من حيث الفعالية . بمعنى أن الثقافة خادمة للحضارة والمحددة لفعاليتها التي تتحدد في المحيط الاجتماعي الحضاري ،الذي يعكس قوة التربية فيه بمناهجها وطرقها ،هذه الأخيرة التي تساهم في التأطير الحضاري.

ويوضح بن نبي فعالية الفرد ولا فعاليته عن طريق المثال التالي:

الشخصان اللذان ينسب كل منهما إلى مجتمع معين ،تكون فعالية كل منهما حسب المرحلة الزمنية التي يعيشها مجتمعه يقول «فمن الملاحظ أن طالب طب المسلم الذي يذهب لتلقي علومه في إحدى العواصم الأوروبية ويحصل على المؤهل نفسه الذي يحصل عليه زميله الإنجليزي ،بل إنه يتفوق عليه إذا ما كان أكثر استعدادا وذكاء ولكنه لا يحصل غالبا على فعاليته ،أي طريق سلوكه وتصرفه أمام المشكلات الاجتماعية»[3]. بمعنى أن الثقافة هي التي تكشف عن مدى الفعالية الاجتماعية في مجتمع معين بالنسبة لمجتمع أخر ،فهي تحدد الجانب السلوكي للفرد ،وأيضا أسلوب الحياة في مجتمعنا ،فبناءا على ذلك تتحد خاصية الثقافة وحدودها. الثقافة هي التي تقسم الفروق بين الأفراد والمجتمعات من حيث السلوك وأسلوب الحياة ،فحين يختلف سلوك فردين من مجتمعيين مختلفين في الثقافة فإن

[1] - فوزية البيرون : مالك بن نبي ،عصره وحياته ونظريته في الحضارة ،مرجع سابق ،ص215

[2] - . مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق ص93

[3] - مالك بن نبي : شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص111

تفسير ذلك الأمر يرجع الثقافة التي ينتمي إليها كل واحد منهما كما سبق التمثيل في ذلك على الطالب المسلم والطالب الإنجليزي .

ويرى بن نبي أن المدرسة ذات صلة وثيقة بتفسير الثقافة والمدرسة كما يرى نوعان:

النوع الأول: المدرسة الحضارية التي تنشأ في ظل الأديان وتحمل تلاميذها أمانة الرسالة لتبليغها إلى العالم وهذا المفهوم هو المعنى الأصيل للمدرسة في فكر مالك بن نبي حيث يقول «ينبغي أن نعيد النظر في المدرسة ،وأن لا ننظر إليها من زاوية التجهيز كما ينظر إليها عادة فالمدرسة ليست المكان المجهز بمقاعد وربما يكتب عليه وصورة تكتب عليها الحروف الأبجدية ،أو المعادلات الرياضية فحسب ،بل هي قبل ذلك المعبد الذي يستشعر فيه الضمير بالقيم التي تكون تراث الإنسانية... ،ويضيف وما كان هدي محمد صلى الله عليه وسلم إلا مدرسة بلغت إلى الحضارة عالما جديدا»[1] فالمدرسة الأصيلة هي مرتع القيم والمبادئ الحضارية السليمة فمنها يستنبط الفرد أخلاقه وأسسه التي تميزه عن غيره وتكسبه أبعاده المتينة ليحقق فعاليته الحضارية ويكون له مكانته بين المجتمعات ،فهي القاعدة الصلبة التي لا تحيد عنها الأصالة الحضارية الحقة.

النوع الثاني :وهي المدرسة التي أشار إليها مالك بن نبي بحديثه عن ضرورة إعادة النظر في معنى المدرسة ،أي المدرسة التي تعنى بالتعليم دون التربية ،حيث يقول «وهذه المدرسة لا تنشئ الثقافة ولا تستطيع تغيير المجتمع ،فهي لا تعدو كونها عاملا مساعدا في تكوين الثقافة»[2] فهي مجرد تلقين للمعلومات تساهم في التنمية الثقافية لكنها لا ترسخ المبادئ والقيم الحضارية.و فمنه نستنتج أن الإنسان هو العنصر والشرط الأساسي للعملية الحضارية فهو محورها لأنه يملك الطاقات وإمكانات ويوجهها لغايات حضارية فقيام أي حضارة مرتبط بإرادة الإنسان الحضارية لتحقيق الفعالية النهضوية وتوجيهها.

والإنسان هو مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي وبواسطة توجيه ومنهجه السليم في التأطير الحضاري ،يغير من الوضع الراهن للأحسن ويجد البيئة الملائمة ليحقق فيها الضمانات اللازمة في حياته.

2_ التراب:

[1] - مالك بن نبي ،مشكلة الثقافة ،مصدر سابق ،ص 50.

[2] - مالك بن نبي ،المصدر نفسه ،ص51.

يرى بن نبي أن التراب مصدر ووسيلة أساسية لتحقيق الفعالية الحضارية ،وحينما استخدمه كعنصر أساسي في التكوين الحضاري لم يقصد التراب من حيث خصائصه وطبيعته ،وإنما من حيث قيمته وهذا ما يؤكده في قوله :«حينما نتكلم عن التراب لا نبحث عن خصائصه وطبيعته ،وإنما نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه»[1] بمعنى التراب هو الإطار الطبيعي الذي تنمو فيه الحضارة ولا يكون هذا الإطار سليم إلا إذا استغله الإنسان استغلالا سليما ،أي أن الإنسان هو الذي فيه مصدر ثروة ووسيلته للنهوض الحضاري ،وعلى صحة نظرة الإنسان إليه تتوقف الاستفادة منه ،فالإنسان هو الذي يحدد المسار الحضاري في التاريخ البشري.

وعلى هذا الأساس لاحظ مالك بن نبي في العديد من مناطق الجزائر وذكر على سبيل المثال ولاية تبسة انتشار ظاهرة التصحر التي بدأت تزحف إليها من جنوب البلاد كما أشار إلى أنه قد كان يوجد في الشمال الإفريقي قبل ألف سنة 7 ملايين هكتار من الأراضي الخصبة المشجرة التي لم يبقى منها إلا ثلثها أما في حالة ولاية تبسة فقد انخفض عدد سكانها من 180 ألف نسمة إلى 140 ألف فقط وقد اقترح بن نبي معالجة مشكلة التصحر بغرس 100 ملايين من الأشجار ،ولكنه يعود لينبه أن الانتصار على التصحر الذي تعاني منه معظم الدول الإسلامية لن يتم إلا إذا انتصر الفرد على نفسه الخاملة والكسولة وجعل من الشجرة رمزا لإرادته ورمزا للبقاء[2] ،حيث قال إن هذا الزحف سيستمر ما لم ينتبه الإنسان ويتجه إلى التراب مرة أخرى لا ليحمي نفسه فقط بل لينتزع من الصحراء الثروة المتاحة للإنسان الذي لا «يملك في بداية حضارته إلا إرادته وصحرائه»[3] ومن هنا نستنتج تلك العلاقة الطردية بين الإنسان والأرض فإذا كان الإنسان يملك فعالية إنتاجية وإرادة تغيرية كانت الأرض منتجة وخامدة وحاضنة للحضارة الجديدة تنمو ما بين طياتها والعكس صحيح أي كل ما كان الإنسان يمتاز بالخمول والاستهلاك فقط كلما كانت إرادات الأرض الحضارية ضعيفة وآلية لسقوط والتلاشي ،فالإنسان الذي يسعى للدخول إلى العالم الحضارة لا يملك سوى تلك الإرادة القوية التي يسعى بها للتغيير أرضه التي تحتضن حضارته والتي يسعى فيها بكل الطرق لتنميتها و إصلاحها و بنائها.

[1] - مالك بن النبي: الحديث في البناء الجديد ،مصدر سابق ،ص 110.

[2] - مالك بن نبي : الحديث في البناء الجديد ،مصدر سابق ،ص119

[3] - مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ،مصدر سابق ،ص111.

3_ الوقت والزمن:

هو العنصر الثالث في النظرية الحضارية عند بن نبي وقد أعطى له بن نبي قيمة اجتماعية باعتباره يدخل في تكوين الفكر والنشاط الإنساني ويعرفه بن نبي بقوله «الزمن نهر يعبر العالم يمر خلال المدن يغذي نشاطها أو يذلل نموها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء ولكنه نهر صامت حتى إننا ننساه أحيانا وننسى أن الحضارات في ساعات الغفلة تسقط»[1] ،معنى أن الوقت عامل مؤثر في الفكرة والنشاط الإنساني وفي دخول دورة الحضارة من جديد وذلك باستغلاله بما يوجهه ويخدمها فالمشروع الحضاري عند بن النبي مرهون باستغلاله على أكمل وجه فإذا لم يستغل بهذه الطريقة قد يصبح عدواً رئيسيا في الانفلات الحضاري والتخلف والأفول .فعلى هذا الأساس يرسم بن النبي معادلته الحضارية حضارة = إنسان +تراب+وقت.

إلا أن بن نبي يرى أن قوة عمل هذه العناصر والمحور المتمم للبناء هو الدين الذي يقوم بدور المزج والتفعيل أو معبر عنه المركب الحضاري حيث يقول «إن تركيب لعناصر التاريخ خالدة في جوهر الدين»[2] بمعنى أن الدين عنصر أساسي في التحام البناء الحضاري وتفعيل عناصره ،فالفكرة الدينية تعتبر الحجر الأساس في كل حضارة واختفاء ،دور الدين يعني زوال العناصر الحضارية وتحللها ،والحضارات عندما تبتعد عن الإشعاع الديني تظهر بوادر اضمحلالها وهذا ما يبينه في قانون الدورة الحضارية ،فكلما كانت الفعالية الدينية قائمة كلما ازداد الإنسان قربا من الركب الحضاري السليم و العميق و العكس.

المطلب الثالث :محاور وأبعاد الحضارة عند بن نبي

1-تكوين عالم الأشخاص:

ينطلق بن نبي في معالجة هذا المحور من زاويتين مختلفتين إحداهما تتعلق بموقع الإنسان وعلاقته في مجتمعه والثانية تتعلق بالإنسان ذاته ،فالفلسفة التي يقوم عليها هذا المحور تنطلق من ضرورة إيجاد مناخ اجتماعي متلاحم ومنسجم ضمن شبكة علاقات قائمة على التفاهم والرغبة في مساعدة الأخريين ،فلا يمكن في أي حال من الأحوال تحقيق غاية حضارية في ظل مجتمع يسوده التفكك والانحلال ويرى بن نبي أن الفكرة الدينية هي التي تضمن انسجام المجتمع

[1] - مالك بن نبي : شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 88.

[2] - مالك بن نبي : شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 90.

وما تلاحمه فهي بوسعها أن تقضي على الشوائب والعائق التي تساهم في تفتيت المجتمع وتثبيط عامل التواصل ،فلا يمكن التصور انطلاقة ما أو انبثاق حضارة من وسط اجتماعي متهالك ومفكك ،ويضرب لنا مثلا في هذا الإطار بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم الذي وضع نصب عينيه تحقيق التواصل والتراحم والتآخي بين المؤمنين كنواة أولى لمجتمع الصالح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا كما جاء في الحديث[1]. إن الغاية من كل هذا تكريس قاعدة صلبة لا تخلخلها عوامل التخلف والسقوط المواكبة لكل فعل حضاري ،والتجربة أثبتت أن من أسباب تلاشي الكثير من الحضارات هو غياب الانسجام بين مكوناتها الاجتماعية ،فالأساس هو البناء المجتمعي القائم على التكامل والتفاعل الإيجابي وكل بناء يلغي من حساباته هذا العالم محكوم عليه لتداعي والانهيار ،ويرى بن نبي أن الثقافة أساسية في تكوين عالم الأشخاص.

2- تكوين عالم الأفكار:

هو المحور الأوسط في تشكيل المشروع الحضاري ذي الأقطاب الثلاثة وما يميز هذا المنطق أن الرافدين الذين يؤسسانه أحدهما مرتبط بالمحور السابق الذي يدخل في التركيبة الشخصية للفرد الذي يعتبر مفتاح الحضارة مثل البواعث الدينية.

أما الثاني فهو الداخل في القدرة على الاكتساب ومدى تقدم الفلسفات العملية والثقافية من محفزات للطاقة الاستيعابية للفرد ويدخل في هذا المنحى أيضا المكتسبات السابقة اللصيقة بالفرد والمميزة له غير أن الثقافة ليست هي الجرأة العلمية دائما فهي تختلف من مجتمع إلى مجتمع[2] والثقافة عند بن نبي هي الراصد الأول الدافع إلى المبادرة و الحاجة إلى التغيير وإثبات الشخصية الاجتماعية إلى مجتمع ما وتوجهه حيث يقول :«لا بد أن نعرف أن الثقافة توجه الطاقات فردية لتحقيق بناء الفرد في الداخل بالنسبة إلى مصلحته ،ولتحقيق مكانته في المجتمع بانسجام تلك المصالح المصلحة مع مصلحة المجتمع»[3] بمعنى أن التركيبة الثقافية للفرد تحقق أفكارا حية في واقعه وتجعله منسجما عمله مع

[1] - بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ،د م ،د ط ،2014 ،ص81.

[2] - بشير ضيف الله:فلسفة الحضارة في فكر ملك بن نبي،مصدر سابق ،ص82-83

[3] - مالك بن نبي : تأملات ،بيروت ،دار الفكر المعاصر ،ط1 ،1979 ،ص 21.

الجماعة وتؤطر السياق الحضاري متين ،والثقافة هي مرآة عاكسة لأي حضارة ،وهذا الانعكاس يظهر في التكوين والتشييد الحضاري و الواقع الإنساني ككل.

3_ تكوين عالم الأشياء:

هي المرحلة الأخيرة من التأسيس الحضاري بوصفها ثمرة للجهود السابقة ،فهي تأتي ترجمة لنجاعة المناهج المعتمدة في تكوين الأشخاص أولا ثم تكوين الأفراد المتولدة بدورها عن المرحلة السابقة المنسجمة مع مبادئها وأهدافها. [1]

ويرى بن نبي أن صناعة الحضارة تحتم الوقوف عند كل محور وإعطائه ما يتطلب من ظروف ومقتضيات حيث يقول «صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة لأنه تأثير عالم الأشخاص ،تأثير عالم الأفكار ولتأثير عالم الأشياء»[2]بمعنى أن سير دواليب العجلة الحضارية مرهون بمدى تأثير هذه المحاور الحضارية الكبرى عند بن نبي فهي لا تعمل من منفصلة عن بعضها البعض وإنما تعمل متأثرة ومؤثرة ،أي أن عالم الأشخاص (الإنسان) يصنع عالم الأفكار والفكرة عندما تكون حية مقيدة فاعليته تصنع عالم الأشياء (الوسائل المادية....) وعالم الأشياء بدوره يفعل بالإنسان وفعاليته ،أساس لتقدم عالم الأشخاص.

الفرد الذي تقوم عليه الحضارة لا ينبغي أن يكون فرديا في تفكيره وتكوينه وفلسفته ،وإنما يجب أن يدرك تمام الإدراك أنه ضمن نسيج جماعي قائم على التكامل والتفاعل والإنتاج ،فالشمولية في مفهومها الإيجابي هي الرصيد الذي يستطيع المجتمع من خلاله تأكيد وتعزيز قدراته العملية والعلمية والإنتاجية تصب في المحيط الحضاري. أما الجانب الثاني فهو المتعلق بالفرد ذاته ككيان له مميزاته ومكنوناته وهذا العنصر أو الجانب هو الذي ينفذ من خلاله الإنسان إلى إبراز دوره ضمن النسيج الاجتماعي الراهن بما اكتسبه من ثقافة ووعي وخبرات بعد أن يدرك دوره الحقيقي والفاعل. [3]

[1] - بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي،مرجع سابق ،ص 96.

[2] - مالك بن نبي: ميلاد المجتمع،تر:عبد الصبور شاهين ،دمشق ،دار الفكر ،ط3 1980 ،ص 24.

[3] - بشير ضيف الله : فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق،ص82.

وكحوصلة عما ورد في المبحث الأول نقول أن الحضارة عند مالك بن نبي هي حقل معرفي متشعب الأبعاد فالإشكالية الحضارية البنانية تقوم على ثلاث عناصر هي الإنسان كمحور أساسي في العملية الحضارية ،ثم التراب كنطاق جغرافي أو أرض تظم الحضارة ،والوقت وهو المدة التي يقضيها في استغلال ترابه وأرضه ،وحسب بن نبي يجب أن تكون في أقل وقت وأكثر قيمة ،والذي تقابله عالم الأشخاص وهو الاجتماع البشري ،وعالم الأفكار وهو مجموع المعارف العقلية التي تترجم إلى عالم الأشياء ،فالأول هو نظري أما الثاني فهو تطبيق.

المبحث الثاني : مفهوم الدور الحضاري عند بن نبي وخصائصه.

يعتبر الدور الحضاري من المفاهيم الأساسية داخل البنية الحضارية العالمية، وهذا ما يؤكده مالك بن نبي بحكم اطلاعه الواسع للعلم و ازدواجية ثقافته العربية و الغربية وفي استقرائه المكثف للواقع الحضاري، فقد انطلق من بدايات تشكل الملامح الأولى لتكوين بنية الدورة الحضارية عنده، فقد اعتبر أن الحضارة تسير وفق قانون دوري يبرز ديناميكيتها و يدحض سكونها. وعليه نتساءل كيف فسر مالك بن نبي الصيرورة الحضارية؟ وما هي منطلقاته المرجعية في القول بهذه الصيرورة؟.

المطلب الأول : تعريف الدور الحضاري عند بن نبي.

يرى بن نبي من الدورات الحضارية قانون طبيعي وسنة من سنن الحياة وقد انطلق في تعريفه لدورة الحضارة من مقولة الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه* والتي استهل بها إحدى فصول كتابه شروط النهضة حيث يقول: انه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب[1] فقد شبه تاريخ الحضارات بالشمس التي كل يوم تعيد إشرافاتها من نفس النقطة ،فالقانون الدوري الحضاري عند بن نبي هو قانون طبيعي .

* ولد في 16 اكتوبر1844 في بروسيا كان يمتاز بالتقوى والورع في صغره لأنه من أسرة دينية إلا انه عندما بلغ 18 فقد ايمانه في الله وآياته ،وامضى بقية حياته في البحث عن إله جديد واعتقد انه وجده في السوبرمان(الانسان الاعلى) كان متأثرا بشوبن هاور ،ولكن إنقلب عليه،اسس بما يسمى ارادة القوة ،من مؤلفاته:مولد التراجيديا ،إنسان مفرط في إنسانيته ،فجر اليوم ،زراديشت ينظر قصة الفلسفة ،ويل ديورانت.،ص505 -506

[1] - مالك بن نبي : شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص52.

ويرى أن الحضارات لأنه لا يخضع لنفس الآليات التي تخضع لها الكائنات أو المخلوقات في الكون ،كالهلال الذي يبزغ ثم يستكمل تدريجيا دورته ثم ينتهي بعد ذلك بالزوال ثم يبدأ أشهرا جديدة في إطار سلسلة دورية مستمرة[1] ،ما يؤكد في قول: «إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس ،فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ،ثم متحولة إلى أفق شعب آخر وهيهات أن تقف فان الأقدار لا تلبث إن تقود الحضارة إلى حيث أن قدر الله لها السير من الدور إلى دور ومن فجرً إلى فجر» بمعنى أن عجلة التاريخ الحضاري في دوران مستمر غير منقطع ،وكل دورة منه له مميزاتها ،وكالشمس في إشراقها وغروبها ،أي في قوتها وضعفها وظهورها وتلاشيها. فالحضارات كلها لها عمرها وحضها وخاصيتها ،ولها من الوقت ما يكفي لأداء وظيفتها الحضارية فالحضارة لها عمر محدود ،وحيث تنتقل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة.

ويعتبر بن نبي أن كل حضارة إنسانية في تطورها تمر بمراحل مثل المراحل العمرية لدى الإنسان من طفولة وصبى وشباب ،ثم تتبعها الشيخوخة فالموت ،فكل وحدة منها تشهد بداية حيث تكون في أوج قوتها وتقدمها سواء على الصعيد الروحي أو المادي ،ثم تبدأ في التراجع والتخلف لتشهد نهايتها. حيث يقول :«يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما ،كي يتجمد من نقطة جديدة»[2] أي عندما تسقط الحضارة في مجتمع ما وتنهار مبادئها سوف تقوم الحضارة في نطاق آخر غير الأول فالحضارة تنتقل بقيمتها إلى مكان جديد ،وبذلك تبدأ دورة جديدة ،وذلك إلى أن تنقضي البشرية.

ويرى بن نبي أن :« كل دورة حضارية عبارة عن وحدات متشابهة ولكن ليست متماثلة»[3] بمعنى متشابهة في الصيرورة ومختلفة في الخصائص فكل دورة لها مميزات معينة ونواميس تسير عليها ،وأيضا يقصد أنها ليست متماثلة أي أن كل دورة لا تعيد نفسها بنفس الخصائص دائما ،فالتاريخ عند بن نبي لا يسير في حتمية مطلقة ،بمعنى أنه في كل دورة يسعى الإنسان إلى التغيير والتجديد ،وتفادي الوقوع في نفس أخطاء الماضي (دورة سابقة) وهنا تبرز فعالية الإنسان.

---

[1] - مالك بن نبي : المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،ترجمة عمر مسقاوي ،دمشق ،عالم الفكر،ط1،د ت،ص18.

[2] - مالك بن نبي : المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين ،مصدر سابق،ص20.

[3] - مالك بن نبي : شروط النهضة،مصدر سابق ،ص53

ويضرب على ذلك مثال الجاذبية حيث يرى أن الجاذبية قانون لطالما قيد العقل بحتمية التنقل برا وبحرا ،ولم يتخلص الإنسان بإلغاء هذا القانون ولكن بالتصرف مع شروطه الأزلية ،وبوسائل جديدة تجعله يعبر القارات والفضاء كما يفعل اليوم (مواجهة وفعالية الإنسان في واقعه) حيث يقول في هذا :فإذا أفادتنا هذه التجربة شيئا ،فإنما تفيد بأن القانون في الطبيعة لا ينضب أمام الإنسان الدائب استحالة مطلقة ،وإنما يواجهه بنوع من التحدي يفرض عليه اجتهاد جديد من سببية ضيقة النطاق[1] بمعنى أن الإنسان الفعال في حضارته هو من يستطيع أن يغيروا ويجدد في واقعه ويكيفه حسب المتطلبات والمقتضيات ،وكل ذلك يكون بتفكير مستمر وعمل دءوب ،فالعمل المتواصل والعقل المفكر تفكيرا منطقيا وفاعلا هو الذي يسيطر على الطبيعة و يكيفها حسب مقتضياته.

ويرى بن نبي أن للتاريخ دقات زمنية مزدوجة وهي الظهور والأفول اللذان يمثلان في منظوره الفكري نبضات التاريخ وهي تشبه في ذلك نبضات القلب أثناء حالة الانقباض وحالة الاسترخاء واهم ما يميز هذه المرحلة هو الانتعاش الروحي والغذاء الفكري والنشاط العقلي مثل مرحلة الانقباض القلبي الذي يدفع بالدم نحو الخلايا ناقلا غذائها وشروطها ولوازمها ومتطلبات حياتها .وفي الأخير تكون مرحلة الأفول تعبيرا عن تراكم الرواسب الحضارية أسباب السقوط والاندثار ومثلها في ذلك مثل الدورة الدموية في مرحلتها الثانية حينها يعود الدم إلى الخلايا وقد تغير لونه وهو يحمل أنواع الرواسب فعلى أثر حركة القلب حدد بن نبي حركة الحضارة فالحضارة تخضع لقانون يحكم سيرها ونموها ومراحلها.

ويرى أن «قانون الدورة محدد بالشروط الزمنية ،والنفسية خاصة بمجتمع عادي معين ،فهي حضارة بهذه الشروط»[2] بمعنى أن المجتمعات التي تتميز بالفاعلية وتمثل دورها الحضاري وفق أسس فعالة ،تفرض وجودها على الساحة الحضارية والمجتمعات التي تتميز بالضعف والإستكانة ولا تقوم بدورها بالتنمية الحضارة لمجتمعها تسقط وتضمحل .فكما يرى مالك بن نبي «إن التاريخ ليس ما تصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار ولكن ما تصنعه الشعوب بذاتها في أوطانها» بمعنى أن التاريخ هو مجهود ذاتي فعال منسجم مع العناصر الحضارية ومحاورها ويعبر عن مجهودات جبارة من ذات تسعى للتحضر ،نفض غبار التخلف عنها.

[1] - عبد الله الحويسي: مالك بن نبي ،حياته وفكره ،دمشق ،دار الفكر ،د ط ،2012 ،ص359

[2] - مالك بن نبي : شروط النهضة ،مصدرسابق ،ص164.

ويرى بن نبي : «بأن هناك فرقا بين الحضارة الإنسانية والحضارة في نطاق مجتمع ما ،فالأولى تسير بخط صاعد بعكس الثانية ،فهي تسير بخط دوري» بمعنى هناك تكامل بين سير الحضارة الإنسانية والدورات الاجتماعية أو كلما تجاوزت الحضارة الإنسانية الحضارة الاجتماعية في نطاق مجتمع ما ،فان الدورة في نطاق هذا المجتمع تتوقف ،وتبدأ ظروف جديدة ،حيث تهاجر بقيمتها إلى بقعة أخرى وتستمر بالهجرة بحيث تشكل في كل هجرة تركيبا خاصا بالإنسان والتراب والوقت. ومن ثمة تتكون حضارة جديدة ،فإذا تأملنا الحضارات التي قامت منذ آلاف السنين على سطح الأرض نجدها في شكل دورات.

ويرى أيضا أنه يجب على كل مجتمع وأمة أن يحدد مركزه ومكانته في دورة الحضارة ،فهو يقول: فإذا ما حددنا مكانا من الدورة التاريخية سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا النقطة التي تبدأ منها الكارثة ويخرج قطارنا عن طريق حيث يسير بخط عشوائي[1] بمعنى تحديد مركز الإنسان من الدورة الحضارية هو بمثابة تدارك لمواطن الضعف وتطوير مواطن القوة ،فتحديد بؤرة التوترً في الحضارة هي الحل الأمثل لتفادي السقوط الحضاري فمركز النزاعات وأسباب الضعف (النفسية ،الجسدية ،الفكرية ،السياسية....) هي بؤر التوتر في الحضارة فعلى الإنسان أن يدرسها ويجد لها حلا. فالدور الحضاري عند بن نبي هو تصور لعملية منطقية تقوم على سنن ونواميس تاريخية ،يسعى من خلالها للكشف عن أسباب الفشل والنجاح الحضاري ،والتأسيس الحضاري الفعال.

المطلب الثاني : منطلقات ومرجعيات بن نبي في إرساء قواعد الدور الحضاري:

إن أي مفكر أو باحث لا ينطلق في بلورة فلسفته أو فكرته من فراغ علمي وإنما يستند في ذلك للعديد من الأسس والمرجعيات التي سبقته فتكون منها الانطلاقة ولكن بالتعديل والإتيان بالتجديد هذا ما ذكرناه في الفصل الأول عندما حددنا إرهاصات فكرة الدور الحضاري للحضارات الغابرة وتكون المفهوم عند العديد من الفلاسفة والمؤرخين وهذا ما نسعى إلى تحديده في هذا المطلب عند مفكرنا مالك بن نبي ،لقد مارس بن نبي التحليل لدراسة السابقة عن الحضارة وسير التاريخ وقد قرأ مقدمة بن خلدون وعمره لم يتجاوز العشرين فقد بقي مضمونها راسخا في ذهنه طول حياته فابن خلدون يرى أن المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من جراء الصراع بين البدو والحضر ويرى أن المجتمعات تمر في تطورها وتقدمها بثلاث مراحل ،ففي المرحلة الأولى تعيش عينة البدو في الصحاري والقفار

[1] - مالك بن نبي : المصدر نفسه ،ص52.

كالعرب والبربر أيام ابن خلدون في المغرب والمرحلة الثانية تعمل على تأسيس الدولة حيث تسود القوانين وتسن النظم وفي المرحلة الثالثة تؤول إلى حالة الحضر ثم تنتهي إلى الترف والملذات من العيش حيث يدركها الاضمحلال وينالها الزوال[1] .بمعنى أن الدورة الحضارية في رأي ابن خلدون محتومة لا مفر منها والدول جميعا تخضع لها فليس هناك دولة تبقى إلى الأبد قوية لا يغلب عليها غالب فكل لها عمر كعمر الأفراد تبدأ مزدهرة ثم تهرم وتموت.

ولقد اعترف بن نبيً بفضل بن خلدون في استنباط فكرة في الدور الحضاري وذلك في قوله:« كان بن خلدون وحده من استنبط فكرة الدورة الحضارية عن الأجيال الثلاثة ... فإنها تدفعنا إلى تأكيد الجانب الانتقالي في الحضارة أي أننا لا نرى فيها سوى تعاقب ظواهر عضوية ولكل منها بداية ونهاية وتأتي أهمية هذه النظرة من أنها تتيح لنا الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط»[2] فلقد أقر بن نبي بهذه الفكرة واعتمد فيها على حدي الميلاد والأفول في الحضارة.

إلا أن بن نبي يعتبر بن خلدون في مقدمته يقصد الدولة وليس الحضارة فالدول في عصره كانت تتميز بالحروب والاختلافات السياسية حول الحكم والسلطة ،وهذا ما جعلها تسقط ،وتقوم دول أخرى ،فهو لم يتحدث عن الحضارة بمختلف جوانبها النفسية ،الدينية ،الفكرية وبما فيها السياسية[3] ومنه نستنتج أن بن نبيً قرأ بن خلدون بعقل نافذ ومحلل وليس بعقل مقلد.

ولقد تأثر بن نبي أيضا بكتاب البحث التحليلي لأوربا "لهارمان دي كسرلنج" ،هذا الأخير الذي يرى أن الحضارة الغربية باعتبارها تركيبا وامتزاجا مكونا من الروح المسيحية والتقاليد الجرمانية ،حيث يقول بن نبي :ومن المفيد أن نعزز هذا النظر برأي للمفكر "هارمان دي كسرلنج" ،في كتابه البحث التحليلي لأوربا كما أشار إلى فكرة الأطوار الثلاث للحضارة المسيحية ووجد في ذلك تأييد لفكرته عن تطور الحضارة وتطور العوامل النفسية ويرى أيضا أن أعظم ارتكاز ساهم في ازدهار الحضارة الأوربية هو ارتكاز على الروح الدينية. [4]

---

[1] - أحمد الباسني : مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،د م ،د ط ،2014 ،ص44.

[2] - توبة الغازي: الفكر الإسلامي المعاصر بيروت ،دار الصلح ،ط2 ،1977،ص195.

[3] - أحمد الباسني:مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص45.

[4] - أحمد الباسني :مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص46

ولقد تأثر بن نبي أيضا بالفيلسوف الألماني نيتشه ولقد ذكر ذلك في كتابه شروط النهضة فالزمان عند نيتشه مجرد سلسلة غير متناهية من الأحداث تعود مرة أخرى أي أنه اعتبر حركة الزمان دائرة وهذا ما أسماه نيتشه بالعود الأدبي والذي يعني بها أن الإنسان سيحيى من جديد الحياة التي كان يحياها من قبل فهذه المقولة هي جعلت بن نبي يرى أن الحضارة تسير كما تسير الشمس. [1]

وأيضا في حضور البعد الديني في تكوين الحضارات ،حيث اعتبر منطلق أي حضارة هو منطلق ديني ؟ يرى أن الحضارة الغربية تبدأ بعصر ميثولوجي ديني ،متمثلا في ظهور بطولة مبكرة من خلال سيطرة قيم النبلاء في ظل وجود مجتمع إقطاعي ريفي ثم تظهر بعد ذلك فيها المدن والتنظيم السياسي وهو في الوقت نفسه ثورة ضد الميثولوجي حيث الإصلاح الديني ،ثم تأتي مرحلة الملكيات المركزة (البرجوازية) والذي يميز هذه المرحلة انحلال الدين وتنوير العقل وأخيرا مرحلة الانهيار التي يموت فيها الدين وظهور الشك فيه والمادية المفرطة وعبادة العلم (عصر المدنية)[2].

وتقريبا هذه نفس مميزات مراحل الدورة الحضارية عند بن نبي حيث أولا تبدأ بالإشعاع الديني ،وعندما يبتعد الإنسان عن فاعلية الدينية ويسعى وراء العلوم والماديات تبدأ بوادر الأفول الحضاري بالظهور.

ولقد شهد فكر توينبي حضورا في فكر بن نبي للتعاقب الحضاري فلقد اهتم " توينبي" في البحث في السنن والقوانين التي تساعد الكيانات الحضارية على القيام والازدهار – مثل بن نبي- بإتباعه منهج المقارن بين الحضارات التي سلك فيها أسلوب إحصائي ،تمكن فيها من إحصاء ما لا يقل عن ستة وعشرون حضارة وجاء بفكرة التحدي والاستجابة الذي يرى فيها أن الظروف غير الملائمة كالبيئة هي التي تصنع الحضارة ،بفضل تحدي الإنسان لظروفه واستجابته لها حيث يكيفها ولقد تعرض بن نبي لهذه الفكرة –التحدي والاستجابة- وناقشها بصورة نقدية في كتابه "شروط النهضة" و ميلاد مجتمع بحيث صاغها صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ،إذ تمثل العوامل النفسية عنصر التحدي عوضا للعوامل الجغرافية والاقتصادية والقوة الروحية تشكل عنصر الاستجابة. [3]

---

[1] - مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق ص52.

[2] - مصطفى سامي النشار : فلاسفة أيقظوا العالم ،مرجع سابق ،ص40

[3] - أمينة تشيكو : مفهوم الحضارة عند بن نبي وارلوند تونبي ،مرجع سابق ،ص147

ويركز كثيرا على الجانب الديني في تفسير سير الحضارات فكل حضارة يستلزم قيامها روحا دينية ،حيث يقول في كتابه التحديات الكبرى :«أوافق كل الموافقة على أن الدين كان مصدر الحيوية التي أدت إلى وجود الحضارات والحافظ على وجودها»[1] فالإيمان الديني هو القوة الروحية التي أنجحت كل المنجزات الحضارية.

ويرى أيضا أن الدين يبعث الرضا الروحي في الأمور الغامضة المتعلقة بسير الكون ،وكذلك إعطاء الناس سلوكا عمليا للتعايش في هذا الكون وبالابتعاد عن الدين تنحل الروابط الاجتماعية وتسقط الحضارة حيث يقول : في كل مرة فقد الناس إيمانهم بدينهم خضعت حضارتهم للتفكيك الاجتماعي الداخلي ،والهجوم العسكري الأجنبي بمعنى أن سبب سقوط الحضارات وأفولها أن البعد عن الدين الذي هو أساس كل قيام حضاري .

وهذا ما ذهب إليه بن نبي حين اعتبر أن تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية هو نتيجة غياب الفعالية الدينية[2].

المطلب الثالث : خصائص الدور الحضاري عند مالك بن نبي:

بعد أن حددنا مفهوم الدورة الحضارية عند بن نبي ،وأهم انطلاقاتها المرجعية في بلورته لفلسفة حضارية قائمة على التعاقب الدوري للحضارات أي أنه انطلق من أفكار غيره وإضفاء فلسفته الخاصة في الحضارة التي لها مميزات وسيمات خاصة به فقط وهي:

1-**التسلسل والانتقال**: ويعني بالتسلسل أن الحضارة مستمرة النمو ومترابطة المراحل ،بمعنى أن مجرد استكمال دورة غايتها ،تدخل بسرعة في طي الماضي لتدخل ساحة التاريخ دورة حضارية أخرى تخالفها في الخصائص ،فعندما تستكمل الحضارة دورتها وتتحول إلى ظروف مختلفة تهاجر وتنتقل إلى بقعة أخرى. فدور الحضارة عند بن نبي تعني هجرة الحضارات وانتقالها من بقعة إلى أخرى حيث يقول : «فإنها تدفعنا إلى تأكيد الجانب الانتقالي في الحضارة أي أننا لا نرى فيها سوى تعاقب ظواهر عضوية لكل منها بالضرورة في مجالها المعين بداية ونهاية.[3]» بمعنى أن لكل حضارة بداية ونهاية ،فعندما تغرب شمس الحضارة على شعب ما ،بالضرورة سوف تشرق عند آخر ،أي أن الركب

---

(1) - جيفري بارندر: معتقدات الدينية لدى الشعوب ،تر:امام عبد الفتاح امام،القاهرة ،مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع ،ط2 ،1996،ص78

(2) - أمينة شيكو: مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي،مرجع سابق ،ص67

(3) - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص23.

الحضاري ليس حكرا على شعب دون الآخر فكل المجتمعات البشرية تستطيع الدخول في مقياس الحضارة ،وفعاليتها التي تحدد درجة تحضرها.

وهذا ما جاء في كتاب الله العزيز كما سبق الذكر وهي فكرة التداول الحضاري والذي يظهر في قوله تعالى: وتلك الأيام نداولها بين الناس[1] فعندما يعرف بن نبي الحضارات على أنها مجموعة عددية تتابع في وحدات متشابهة ولكنها غير متماثلة[2] يقصد أن الحضارات تتسلسل فيما بينها في الظهور على الساحة الحضارية وتنتقل وفق تسلسل منطقي يحدد كل حضارة مميزاتها ،فالحضارات سلسلة متصلة من الدورات والاختلاف بين الدورات في الشروط التي تحكم كل حضارة. فعندما تختل الشروط الملائمة لحضارة صاعدة سوف تضمحل ،وتنتقل مشروعية الصعود إلى حضارة أخرى بعد أن فشلت السابقة ،هذا ما يؤكده في قوله: «يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما كي يتحدد من نقطة جديدة [3]»فمؤشر الظهور والصعود للحضارة في عجلة التاريخ ينتقل من حضارة إلى أخرى ،فالحركة الحضارية لا تعرف الثبات والسكون في حركة مستمرة لتنقل من صفة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر. فالحركة الحضارية عند بن نبي يسعى من خلالها للتغير والتجديد الحضاري بتدارك مواطن الضعف وتغييرها فضل فعاليته.

2_ التغير:

يعبر بن نبي أن الحضارة في صيرورة مستمرة ،فحركتها الدورية تبدأ بالولادة ،الشباب ،الشيخوخة ،القوة الضعف النضج ،الذبول ومختلف السنن الحضارية التي تعبر عن تغيرها المستمر وبما أن الحضارة تنتقل من مكان إلى أخر ،ومن شعب إلى آخر ،فهي لا تعرف الثبات والسكون ،فهي ظاهرة مجتمعية لها صيرورتها التاريخية تمر بمراحل بداية الروح ،ثم تدخل بعد ذلك مرحلة جديدة تسمى مرحلة العقل ثم مرحلة الغريزة ،وبالتالي تمر عبر ظهورها بثلاث مراحل النهضة والأوج والأفول «فالتحليل التاريخي لحضارة معينة أنها تقع بين حدين اثنتين هما الميلاد والأفول»[4] بمعنى أن الحضارة عند بن نبي تعبر عن تطور تاريخي في نفسية الإنسان و حالة المجتمع من ظهور تاريخي إلى أخر في محور الزمن ،وتبعا لهذا فإن هناك تغيير ملحوظ نلمسه في كل مرحلة ودورة حضارية عند بن نبي فتقول الباحثة نورة خالد ما دام هناك

[1] - القرآن الكريم: سورة آل عمران ،الآية4.

[2] - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي،مصدرسابق ،ص27.

[3] - مالك بن نبي : المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،مصدر سابق ،ص 19.

[4] - مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ،مصدر سابق ،ص 46.

دورة يمر بها الفرد والمجتمع في حركة تاريخية وهناك أفول في مقابل النهضة وهناك أيضا مكان وإرادة حضارية للتغيير لدى الفرد والمجتمع فلا بد في ظل كل هذه العوامل التغيرية من تحديد اليقظة التاريخية التي يمر بها الفرد حتى تسهل عليه الحركة والتغيير[1] فهي تشرح في هذا القول قانون الدور الحضاري عند بن نبي من الأفول وظهور للحضارة فهي في تغيير مستمر والمواد التغيرية لدى الفرد. الذي يسعى إلى التغيير الحضاري فهو ينطلق من وعى معرفي يرى بأن كل أداة وسلوك يحمل في عمقه منطلقات ومرجعيات النجاح أو الخيبة أو الفشل منه يجب أن تكون مبرراته في التغيير أساس نجاحه ،وذلك في التوجيه إرادته توجيها خادما للحضارة ،فعندما يغرق الإنسان في الأزمات الحضارية ويصبح يعيش في كنف التخلف والاستكانة يصح عليه لزوما أن يعيد ترتيب أوراقه ويعيد ترتيبها من جديد بإعطاء أولية للورقة التي تحمل اسمه مقرونا بالحضارة واسم عنوانها الإنسان فهو صانعها.

فبن نبي يميز بين "التغير الحضاري" "والتغير الاجتماعي" فالتغيير الحضاري ظاهرة تضمن البناء والتطور الحضاري وهو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء ،بينما التغيير الاجتماعي هي ظاهرة خاصة بالتغيير للفرد من أجل أن يغير في الحضارة ،ويكون التغيير في نفوس الأفراد حيث يقول: «التغيير النفسي في الفرد هو أساس التغيير الاجتماعي أو بعبارة أخرى ما لم أتجدد أنا فان أستطيع أن أجدد شيئا ،وما لم نتجدد نحن فلن نستطيع تجديد المجتمع»[2] فالتغيير يؤثر في سلوك الفردي ومن ثم البناء الاجتماعي والحضاري ،ويكون بالبعث الروحي المتين ،والتغيير الفردي حسب بن نبي يكون وفق إرادة فاعلة ونية حقيقية في التغيير والنهضة الحضارية ،وهذا ما يؤكده دائما ،مستشهد بالآية «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[3] فإذا غير الأفراد ما بأنفسهم سوف يتغير ما بالمجتمع والواقع الحضاري.

3- تجدد:

يرى بن نبي أن الحضارة تسير وفق ديناميكية مستمرة فهي تنتقل من حال إلى أخر والتجديد الحضاري في ارتباطه بالإنسان ،والمجتمع والتاريخ قوة فعالة أساسها التغيير ،فتقوم هذه القوة بدفع الإنسان إلى الحركة داخل التاريخ ليبني الحضارة ،ويوجد فرق كبير بين الإنسان ما قبل الحضارة والإنسان المتحضر الأول يعيش على الطبيعة وتصوراته

---

[1] - نورة خالد السعد : التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن النبي ،دراسة في بناء نظرية إجتماعية ،الرياض ،دار السعودية لنشر والتوزيع ،ط1 ،1997 ،ص 27.

[2] - مالك بن النبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 23.

[3] - القرآن الكريم ،سورة الرعد،الآية 11

وأخلاقه ووسائل أعماله ،أما إنسان الحضارة يعيش على ما تبعده عبقريته في الجانب الاقتصادي والفكري والأخلاقي والاجتماعي ،فمرحلة ما قبل التاريخ تشترط التجديد الحضاري لتقوية البناء الحضاري وتطويره وتحصينه والمحافظة على بقاءه واستمراره[1].

إن التجديد الحضاري في أي مجتمع وفي أي مرحلة من مراحل التاريخ هو إستراتيجية تغيير أوضاع وظروف الفرد النفسية والاجتماعية نحو الأفضل وبما يضمن تطوير أفكاره وسلوكه وأعماله وتطوير كل ما يتصل بالأعمال وسائل وطرق ونتائج[2]. بمعنى أن دور التجديد الحضاري عند بن نبي يتحدد مراحل المجتمع ،كما يحدده عمر الحضارة ومن خلال أطوارها الثلاث ،ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم بتوفير الشروط اللازمة للبناء الحضاري إذ ينقل الفرد والمجتمع من مرحلة الحضارة إلى مرحلة الحضارة ،وخلال مرحلة ما بعد الحضارة يقوم بتطوير الحضارة في مختلف الجوانب ضمانا للاستقرار واستمرارها.

فمرحلة ما قبل الحضارة تشترط التجديد الحضاري لنقل الإنسان إلى عالم الحضارة ،وفي مرحلة الحضارة يحتاج الإنسان إلى التجديد الحضاري وتطويره والمحافظة عليه ،لأن عوامل الفساد والضعف هي التي تجعل الحضارة تدخل في طي التلاشي[3] ،فالتجديد عند بن نبي لا يعني إلغاء القديم والبدء من جديد بقدر ما هو استيعاب للقديم وتجاوز عوائقه للأخذ به نحو آفاق أرحب .

وكنتيجة لهذا المبحث نقول أن بن نبي يرى أن الحضارة أو التاريخ البشري عبارة عن مجموعة دورات،يكمل بعضها بعضا وكل دورة منها تشكل حضارة معينة لمجتمع معين، و أكد هذه القاعدة الحضارية بعد استقرائه العميق لتاريخ البشري ،وما يصادفه من سنن ثابتة غير متغيرة ،وفي ظل استناده لأراء ومبررات العديد من الباحثين والفلاسفة القائلين بالقانون الدوري للحضارات كقاعدة أساسية في بنية كل حضارة ،إلا انه اخذ منه أرائهم ليضفي عليها وفلسفته الحضارية الخالصة التي تميزه عن غيره ،فبهذا نخرج بنتيجة مؤكدة أنا ابن نبي أسس لنظريته في التعاقب الدوري بعقل منفتح ومحلل غير مقلد.

---

[1] - مالك بن نبي : ميلاد المجتمع ،مصدر سابق ،ص 30.

[2] - الطيب برغوث: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند بن نبي،دمشق ،دار قرطبة للنشر والتوزيع ،ط 2 ،2004 ،ص 3.

[3] - الطيب برغوث ،المرجع نفسه ،ص 3.

المبحث الثالث :مراحل الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

إن الدورة الحضارية عند ابن نبي تشكل تصور لحركة التاريخ ،ومحاولة منه لاستنباط كينونة الحضارات ومعرفة أسباب نشوئها وازدهارها وسقوطها ،ونتيجة كل سبب في ذلك ، فالحضارة عند بن نبي تمر عبر تطورها التاريخي بأطوار متباينة فيما بينها ،فهي متنقلة من مرحلة إلى أخرى ولكل مرحلة مميزاتها ونطاقها الزماني .فما هي أسس ومميزات كل مرحلة من مراحل الدورة الحضارية البنانية ؟.

المطلب الأول: مرحلة الروح

ويقصد بن نبي بالروح الفكرة الدينية ،فالمجتمع يكون في المرحلة البدائية كمادة خام ،فتبعث فيه الشرارة الدينية لتحرك كوامن نشاطه وتخلصه من هيمنة الغريزة و؟ للقيم الدينية ،فالروح هي بداية الطريق الحضاري حيث يقول :«ومن هنا يستطيع المؤمن إدراك الحقيقة الساطعة التي يفسرها التاريخ في الفقرة التي وردت في احد الكتب المنزلة القديمة في البدء كانت الروح»[1] بمعنى ان بداية أي حضارة أساسها الدين ،ويكون للإنسان في هذه المرحلة روح متأججة كلها إيمان وأمل تسمو نحو المثل العليا التي رسمتها الفكرة الدينية ،وتتميز أيضا باندفاع روحي قوي يتحكم في العقول ويقوي الشعور ويوظف الغرائز الفطرية في خدمة المثل العليا ،فتكون العلاقات الإجتماعية متماسكة ومترابطة.

والفكرة الدينية ليست مقتصرة على الأديان السماوية فقط ،وإنما تحوي كل الديانات السماوية والوضعية حيث يقول :«فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المسيحي ،أم كنا بصدد المجتمعات التي قد جرت أو إختفت تماما من الوجود ،نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية»[2] فالدين أساس قيام الحضارات حسب بن نبي سواء كانت مجتمعات لها دين واحد أو عدة ديانات (الوضعية والسماوية) ،ويقول أيضا :«فالشيوعية دين أرضي ،وهي عقيدة يدين بها أصحابها ويناضلون من اجلها ويموتون»[3] بمعنى أن الشيوعية نزعة دينية تنتمي إلى النظام الاشتراكي ساهمت في إرساء القواعد الاشتراكية ووحدت الاشتراكيين.

وتكشف فكرة العلاقة بين الدين والحضارة في نظرية نبي عن جانبين و هما:

---

(1) - مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية،تر: عبد الصبور شاهين ،بيروت دار الفكر ط3 ،1968،ص69.

(2) - مالك بن نبي: ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص56.

(3) - مالك بن نبي:دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين،مصدر سابق،ص14.

1- الإيمان بالغيب.

2- الجانب الاجتماعي.

والجانب الثاني مترتب على الجانب الأول ،بل هو نتيجة في التاريخ ،ووجوده متوقف على قوة الإيمان بالجانب الأول ،حيث يقول :«فالفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية ،أي بقدر ما تكون معبرة عن نظرتنا إلى ما بعد الأشياء الأرضية»[1] فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي توجد العلاقة الاجتماعية والدور الاجتماعي للدين يتحقق في شكل تركيب يهدف إلى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة لحضارة ،وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ويجعل من الوقت الذي هو ساعات وقت اجتماعي مقدر بساعات عمل.

المطلب الثاني : مرحلة العقل:

بعد أن كان الإنسان يعيش في كنف الدين ،الذي خلص من هيمنة الغريزة ،سوف يدخل في نطاق آخر وهو مرحلة العقل وتتميز هذه المرحلة في نقص الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية حيث يقول : «نلاحظ نقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية وأن هذه الفكرة –الفكرة الدينية- تظل مواصلة لنقصانها منذ أن دخلت الحضارة منعطف العقل»[2] أي أن الفعالية الدينية في تناقص مستمر عندما يدخل الإنسان إلى الجانب المادي وتنتقل هذه المرحلة من سيطرة الأشخاص إلى سيطرة الوسائل ،حيث يتجه المجتمع بالاستعانة بمناهج وتقنيات تساعده على انتشاره وتوسعه وتشهد الإبداعات والاكتشافات العلمية والفنية.

يقول بن نبي :«إن أوج أي حضارة وأعني إزدهار العلوم والفنون يلتقي من وجهة علم العلل البحث مع بدء مرض اجتماعي معين لم يجتذب انتباه المؤرخين وعلماء الاجتماع بعد لأن آثاره بعيدة»[3] بمعنى أن مرحلة العقل تمثل أوج مرحلة حضارية عند بن نبي لأنها تزدهر فيها العلوم ،وتكتشف القوانين الجديدة ،وتوسع نطاق المعرفة في كل المجالات ،خصوصا التكنولوجية منها ،فتسيطر الآلة والمادة على الفكر والدين ،فتتلاشى الفعالية الدينية تتلاشى شيئا

[1] - مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق،ص51.

[2] - مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق ،ص111

[3] - مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق ،ص53.

فشيئا ،وبالتالي تتفكك العلاقات الاجتماعية ،وبالتالي يظهر الفراغ الاجتماعي وتهدم المبادئ والأخلاق والروح فتمزق شبكة العلاقات هو تمزق الثقافة باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد.

المطلب الثالث :مرحلة الغريزة:

يعتبرها بن نبي المرحلة الأخيرة وهي حد فاصل بين مرحلة الروح ومرحلة العقل حيث يقول :«عندما يبلغ تحرر الغرائز الدنيا من عقالها ،وتنكمش تأثيرات الروح في النفوس بطغيان الترف ،وتعود بالإنسان بالحياة البدائية ويبلغ العقل مداه يبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة وهو طور الغريزة فيكشف عن مجتمع منحل ،ومتى توقفت الدفعة الإيمانية في عناصر المجتمع يفقد معها قدرته على التقدم والتجديد كما يتوقف المحرك عندما يستنزف آخر قطرة من الوقود»[1] أي عندما يتوقف الإشعاع الروحي والتدفق الإيماني لدى الفرد الذي يحرك به شبكة العلاقات الاجتماعية ويسعى به إلى السمو الروحي والأخلاقي ،فتظهر بوادر الانحطاط وأفول نجم الحضارة.

فالدورة الحضارية عند بن نبي تبدأ قوية مندفعة عندما تسيطر الروح أو العاطفة الصادقة والشعور الجماعي القوي لتنفيذ فكرة ،وهذه الروح تضبط الغرائز الدنيوية ،ثم تبدأ مرحلة قطف الثمار هذه الحضارة من تمدن وازدهار العلوم والفنون ،وفي هذه المرحلة تبدأ الغرائز في الانفلات شيئا فشيئا ويسميها مرحلة العقل ،لتصل الحضارة لمرحلة ثالثة وهي مرحلة الانحطاط وتفكك العلاقات الاجتماعية ككل. ويرى بن نبي أن الإنسان يدخل إلى مرحلة ما بعد الحضارة وهي أسوء من مرحلة ما قبل الحضارة لأن هذه الأخيرة يكون فيها الإنسان على الفطرة أو مهيأ لدخول حضارة ،ولكن الوصول إلى المرحلة الأخيرة لا يعني أن مالكها يجعلها دورة حتمية المآل والزوال فالحضارة يمكن أن تستأنف مرة ثانية إذ الفكرة الدينية أن تكون فاعلة وحاضرة في الأمة[2]. بمعنى أنه يبقى الانعتاق الديني والسير على خطاه دائما الأساس الحضاري عند بن نبي ،فالملامح الأولى للحضارة هي نسيج اخيط بخيوط دينية ثم إن بدء يتوقف الإشعاع الديني تبدأ تنفلت الحضارة من قيمة الإنسان تدريجيا إلى أن يعيد تفعيلها مرة أخرى بعد أن انفلتت كليا منه فالدين هو الإطار المرجعي القويم الذي لا تحيد عنه الحضارة .

[1] - مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص77.

[2] - محمد عبده : مالك بن نبي،مفكر إجتماعي ورائد اصلاحي،دمشق،دار الفتح،دط ،1973،ص61.

وكنتيجة عما ورد في هذا المبحث نقول أن ابن نبي حدد ثلاثة أطوار تقوم بها كل حضارة (طور الروح ،طور العقل،وطور الغريزة)،وهذه الأطوار هي قاعدة تخضع لها أي حضارة في التاريخ وابرز ما يميز مرحلة عن أخرى هو مدى تأثير فكرة دينية في إرساء معالم كل مرحلة من مراحل الدولة الحضارية ،فالفكرة الدينية تدخل قلب التاريخ فتغير مجراه وترسم ملامح الحضارة في كل مرحلة.

وكحوصلة عما ورد في الفصل الثاني نقول ان فلسفة مالك بن نبي جاءت محددة لمشروعه الحضاري ،الذي يسير بمقتضى التعاقب الدوري للحضارات ،وهذا الدور هو على شاكلة مسار يحدد عمر الحضارة من بدايتها إلى افولها وسقوطها،وكذلك يبرز الانتقال والديناميكية الحضارية ،اي حسب بذل الجهد واستغلال الطاقة وإنتاج الافكار والنظريات ،فالحضارة عنده هي نشاط تفاعلي تساهم فيه كل طبقات المجتمع ،فهي تبادل في الرؤى ووجهات النظر.

فمالك بن نبي ينطلق من فرضية لا طالما أكدها التاريخ وهي أن الحضارة عبر تطورها التاريخي تمر بأطوار متباينة فيما بينها تأسس كل منهما على الأخرى ،وهو ما يصطلح عليه "بالدور الحضاري "فمالك بن نبي يعتبر فيلسوف للحضارة لان جوهر بحوثه وتحليلاته ترتكز على فهم الحضارة فهما مهما بكل جوانبها ،فقد سعى إلى استنباط كينونتها ،وتحديد ماهيتها ،وتبيان حركتها ومسارها ،فالحضارة عند ابن نبي لها قانون وصيرورة لابد أن تسير عليها ،فهي مرتبطة مجموعة من الأسباب والعوامل والنتائج ،كما إنها ظاهرة إنسانية ذات علاقة تأثير وتأثر فيها بمعنى أن الإنسان محرك ومتحرك داخلها.

الفصل الثالث

تجسيد مراحل الدورة الحضارية عند "بن نبي" وأسس مشروعه

المبحث الأول:تجسيد مراحل الدور الحضاري

المبحث الثاني:الأمراض والعوائق الحضارية في العالم الاسلامي

المبحث الثالث:اليات التغير والنهوض الحضاري

يعتبر بن نبي الحضارة حلقة متسلسلة الدورات الحضارية من التاريخ البشري ،إذ تبدأ الحلقة الأولى بظهور الفكرة الدينية ،ثم يبدأ غروب شمسها شيئا فشيئا حتى تغرب كليا مشكلتا بذلك مراحل متتابعة من الدور الحضارية تبدأ بمرحلة الروح ثم مرحلة العقل لتصل إلى مرحلة الغريزة ،هذه الأخيرة التي تتميز بانفلات الغرائز من قبضة الدين وظهور بعض السلوكات الغير سوية ،والمعبرة عن انهيار قوى الحضارة وتآكلها وظهور بوادر الانحطاط والتخلف الحضاري ،وقد ركز بن نبي في شرح وتحليل وتوظيف قواه الفكرية النظرية وتطبيقها على التاريخ الإنساني على حضارتين أساسيتين لهما هيبتهما ومكانتهما على الخريطة العالمية وهما الحضارة الإسلامية و الحضارة المسيحية ،موليا اهتمامه الكبير على الحضارة الإسلامية فسعى إلى طرح أسباب تخلف الأمة الإسلامية وإصلاح حالها وتعمق في دراسة وتحليل شخصية المسلم في ظل العطب الذي أصاب حضارته ،واضعا خطة إستراتيجية تكون كفيلة للنهوض بالعالم الإسلامي وقيامه ككيان مستقل بذاته مؤكدا أن الفكر لا يكون فكرا صحيحا إلا إذا رسم طريق للنهضة والتغيير . ومنه نتساءل كيف حدد مالك بن نبي مراحل الدورة الحضارية في كل حضارة ؟ ما هي معالم وأسس مشروعه الحضاري الإصلاحي ،وهل هو كفيل بإخراج العالم الإسلامي من دائرة التخلف والتأخر الحضاري ؟

المبحث الأول : تطبيق مراحل الدورية على الحضارة الإسلامية و المسيحية

المطلب الأول : على الحضارة الإسلامية

يرى بن نبي أن تاريخ الحضاري البشري يسير بمقتضى قانون الدور الحضاري ،وتاريخ يسير وفق دقات زمنية مزدوجة هي الأفول والظهور ،وكما ذكرنا أن مرحلة الظهور تتميز بالانتعاش الروحي والغذاء الفكري والنشاط العقلي ومرحلة الأفول هي عبارة عن تراكم الرواسب وأسباب الاندثار الحضاري بفعل غياب الفعالية الدينية و الاستسلام للغرائز ،ولقد ركز في تحليله لقانون "الدوري الحضاري" على حضارتين أساسيتين هما الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. فكيف مثل بن نبي مراحل الدورة الحضارية في الحضارة الإسلامية والمسيحية؟ وما هي مميزات كل حضارة في كل مرحلة؟

أ_ مرحلة الروح:

يرى بن نبي أول خطوة خطاها المجتمع الإسلامي وهو يعيش مرحلة الروح هي أنه حطم الحدود القبلية التي تفصل بين أفراده وبناها على أسس جديدة متفتحة حدد الإسلام قواعدها وضوابطها ،يقول: " مزقت هذه الكلمة اقرأ ظلمات الجاهلية قضت على عزلة المجتمع الجاهلي ورأى النور مجتمع جديد متفاعل مع العالم ومع التاريخ فشرع يهدم ما بداخله من حدود قبلية ليؤسس عالمه الجديد من الأشخاص"[1] بمعنى أن ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه في غار حراء كان له الدور الريادي في نقل المجتمع الإسلامي من ظلمات الجاهلية إلى أنوار الإسلام ومنه تحقيق حضارة لها عظمتها ومكانتها .

والمجتمع الإسلامي لم يكتفي بهذه الخطوة الهامة بل اتجهت أنظاره إلى خارج حدوده ،فلم يكد يمضي وقت قصير على بزوغ فجر الإسلام وانتشار تعاليمه حتى تحول هذا المجتمع إلى أستاذ الأمم والشعوب التي سبقته حضاريا بعشرات القرون[2] .

---

[1] - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 40.

[2] - احمد الباسني :مدخل إلى فكر مالك ابن نبي ،مرجع مسابق ،ص 47.

كما أن الإسلام آخى بين الأنصار والمهاجرين وجعل منهم أفراد متآخيين منهم في السراء والضراء كأنهم بنيان مرصوص: حيث يقول صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"[1]

ويرى بن النبي «انه عندما بدأت عملية اندماج المجتمع الإسلامي في التاريخ تأسس المجتمع الأشخاص فيه على نموذج أصلي يتمثل بالطائفة الأنصار والمهاجرين والمتآخيين في المدينة ،فقد رسمت الرسالة (الوحي) أثاراً جديدة بنتائج اجتماعية جديدة ،وذلك بالوسائل الحضارية نفسها ،فعالم الأشياء لم يكن بعد قد استطاع تغير وسائله»[2] ،بمعنى أن الإسلام قد هيأ للمجتمع الجاهلي المناخ المناسب لتفكير والخروج من قوقعته الفاسدة وحياته الهمجية ،فقد حدد القوانين لأساسية والقواعد الصلبة في ذلك ،فلم يفرق بين شرائح المجتمع وطبقاته وهم ما جعل المهاجرين والأنصار يتآخون ويندمجون فيما بينهم .

ويرى بن نبي أن في هذه المرحلة يتحرر الفرد المسلم جزئيا من غرائزه حيث يقول: " وفي هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في جسده ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبقتها الفكرة الدينية في نفسه ،بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح"[3] بمعنى أن في هذه المرحلة لم يعد الفرد المسلم يمارس نشاطه الغريزي عما كان في العهد الجاهلي ،لأن الغريزة أصبحت تهيمن عليها الفكرة الدينية وتكبحها ،وتسير الفكرة الدينية بمقتضياتها وأسسها ،ويحدد مالك بن نبي زمن هذه المرحلة منذ بداية الرسالة الإسلامية بكلمة اقرأ إلى معركة صفين سنة 38هـ.

ب– مرحلة العقل:

[1] - أحمد الباسني: مدخل غلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص 47.
[2] - ملك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 71.
[3] - مالك بن نبي: شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 57.

يواصل العالم الإسلامي يواصل مسيرته الحضارية وبفضل اتساع الفتوحات بدأت الخلافات تطفوا على السطح بين المسلمين (معركة صفين) التي كانت منعطفا خطيرا جعل العالم الإسلامي ينتقل من مرحلة الروح إلى مرحلة العقل[1].

والقيادة في هذه المرحلة لم تعد للروح وإنما للعقل ،فقد عرفت ازدهارا كبيرا في مختلف المجالات ،خاصة في بلاد بغداد والأندلس ،فقد برع المسلمون في الفقه والتفسير واللغة والتصوف،كما ألفوا في العلوم والكيمياء والطب ،وكتبوا في الموسيقى والغناء ،والشعر والنثر والجغرافيا ،فقد جادلوا وعارضوا وردوا الشبهات عن الإسلام وأسسوا علم الاجتماع وبدأت بوادر التفلسف وتظهر وتتعمق شيئا فشيئا ،كما سجلوا الأحداث ودونوا الأخبار ووضعوا الأسس علم التاريخ[2].

لكن هذا الازدهار العلمي يرافقه بروز بعض الأمراض الاجتماعية التي بدأت ترتسم على جسم الأمة الإسلامية فالمجتمع هنا أخذ يفقد قدرته على التحكم في سلوك الفرد أو يوجهه توجيها سليما ،مما ينتج عنه انخفاض في المستوى الأخلاقي ،ونقص في الفعالية الاجتماعية ،أما الغريزة فقد عبدت لها الطريق لتحرر والإعتاق شيئا فشيئا من سلطة الفكر الدينية وقبضة العقل ،وعندما تتحرر نهائيا وتستعيد طبيعتها الأولى ،وتسيطر على الفرد والمجتمع هنا فإن الحضارة تكون قد دخلت صور الغريزة[3] ،بمعنى أن الازدهار العلمي والفكري جعل الالتفاف مركز حول الجانب المادي ،مما جعل الروح تشق طريق النسيان والغرائز طريق الظهور .

ج– مرحلة الغريزة :

هي أخطر مرحلة تمر بها الحضارة الإسلامية ،فالغريزة كشف وجهها وتحررت تماما وأصبحت لها سلطة تكاد تكون مطلقة ،فتبدأ الحضارة الإسلامية عهدا جديدا هو عهد الانحطاط أو ما بعد الموحدين ،وهو زمن وفاة ابن خلدون ،لأن سقوط دولة الموحدين كان خطوة إلى الوراء ففي هذا العهد عرف المجتمع الإسلامي كل الأمراض الاجتماعية والسياسية والثقافية يقول بن نبي: " بدأنا تاريخ الانحطاط بإنسان ما بعد الموحدين ففي عهد ابن خلدون على سبيل المثال استحالة القيروان قرية مغمورة بعد أن كانت في عهد الأغالبة قبلة الملك ،والعاصمة الكبرى التي

---

(1) - أحمد الباسني: مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص 49.

(2) - فتيحة عبد الفتاح النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ،القاهرة ،دار الفكر العربي ،ط 14 ،2004 ،ص 15.

(3) -أحمد الباسني: مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص 50.

يقطنها مليون من السكان"[1] فهذه المرحلة هي مرحلة السقوط الأول مثلما حدث للقيروان بعد إن كانت لها هيبتها وكيانها بين الدول والمجتمعات.

وتتميز هذه المرحلة بالفقر والجهل والنزاعات بين مختلف الطوائف مع تحجر الفكر وعقمه ،فلقد أصبح هذا المجتمع مثل الطفل عالم أشياءه ومقتنياته بسيطة يطغي عليها طابع من الزخرفة والألوان البراقة أو الميل إلى تكديسها أما عالم الأشخاص فقد اختفى النموذج الأصلي فيه المتمثل في جيل المهاجرين والأنصار وحلت محله طائفة من المشعوذين والمتصوفة المخادعين ،إن هذا العهد يقول عنه بن نبي إنه عهد "القابلية للاستعمار" ،لأنه مهد الطريق لأوروبا من احتلال الأراضي العربية والإسلامية"[2] ،بمعنى أن الترف الزائد والتحرر من قيود الروح والعقل ،جعل الحضارة الإسلامية تدخل في متاهة حضارية كانت السبب في سقوطها وضعفها واستكانتها ،فهذه المظاهر خلقت إنسان متفسخ حضاريا يحمل أسباب موته وفنائه في جسده ،حيث يرى بن نبي : «إن إنسان ما بعد الموحدين خلق إنسان يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض إليها العالم الإسلامي»[3] بمعنى أن العوائق التي تصادف الإنسان اليوم في نهضته الحضارية كانت وليدة الأمس ،أي من سقوط دولة الموحدين.

المطلب الثاني : الحضارة المسيحية

أ– مرحلة الروح:

يرى بن نبي أن الديانة المسيحية سبقت من الوجهة التاريخية الإسلام لكن من الوجهة التاريخية النفسية تعد الحضارة الإسلامية أسبق في الوجود والانطلاق من الحضارة الغربية المسيحية ،فالمسيحية ولدت قبل الإسلام لكنها تطورت بوتيرة بطيئة ،لأن ظهورها كان ضعيف مقارنة بظهور الإسلام ،فالحضارة المسيحية إنطلقت فكرتها مع المسيح عليه السلام ،إلا أنها لم تجد الأرضية الصحيحة لتجسدها ،فقد اصطدمت بالثقافات العبرية والرومانية واليونانية

[1] - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 37.
[2] - أحمد الباسني: مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص 51_52.
[3] - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 37.

فعبرتها وفي عبورها شوهت وحرفت وزاغت إلى "التثليث والصليب"[1] ،بمعنى أن اختلاط الثقافات على الدين المسيحي أدى إلى تحريفه ودحض قيمه الدينية الأساسية ،مثل قولهم إن المسيح ابن الله ،ف الله لم يلد ولم يولد .

وبعد حوالي ألف سنة من ظهورها صادفت الجرمان في شمال أوروبا و ألفت عندهم تقاليد فطرية فانطبعت في نفوسهم واستقرت ،بها ويرى بن نبي أن تأثير الروح كان له دور كبير عند الجرمانيين في انتشار المسيحية في أوروبا من خلال شهادات وأقوال ودراسات بعض المفكرين الغرب ،مثل "هروان دي كسرلنج" الذي يرى أن الحضارة الغربية الأوروبية في تركيبتها مكونة من روح المسيحية والتقاليد جرمانية ،وتتميز هذه المرحلة بالمبدأ الأخلاقي وبتعبير أخر المسألة الروحية ،وهذا ما يؤكده بن نبي في قوله: «إن الميلاد النفسي للحضارة المسيحية ،متوافق مع ظهور الروح الخلقي»[2]بمعنى أن الدين يلعب دورا بارزا في نشوء الحضارة المسيحية ،وبلورتها كفكرة دينية لها مبادئها القيمية والخلقية

ب– مرحلة العقل:

تمتد هذه المرحلة من عهد النهضة وحركة الإصلاح الديني ،إلى غاية الفتوحات الاستعمارية ،يقول بن نبي: «فلما بدأت هذه النهضة نقلت أوروبا من مرحلة السمو الروحي ،إلى مرحلة التوسع العقلي ،التي انطبعت بطابع ديكارت»[3] بمعنى أن هذه المرحلة تتميز بهيمنة العقل وبروز النزعات التعليمية والفلسفية مثل ظهور شخصية فلسفية عقلية كديكارت إذ يوافق سيطرة العقل عند الحضارة المسيحية عصر النهضة الأوروبية التي قامت على دعائم الفلسفة الديكارتية .

وقد تصدر هذا العصر بالكشوف الجغرافية وظهور حركة الإصلاح الديني ومختلف الإبداعات من علوم ومعارف وتطوير لمختلف المصانع حيث يقول: «إن مركز النقل للحضارة تزحزح من مكانه وتحول بالنهضة والإصلاح الديني من مجال الروح إلى مجال العقل»[4] فقد بدأت العلاقة الروحية بين الفرد المسيحي والديانة المسيحية تندثر شيئا

[1] - ملك بن نبي ،شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 71.
[2] - مالك بن نبي ،شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص 71.
[3] - مالك بن نبي ،المصدر نفسه ، ،ص 61.
[4] - مالك بن نبي: المصدر نفسه ،ص 62.

فشيئا بفضل التطور العلمي والنهضة التي مست المجال الاقتصادي أكثر من أي مجال أخر ،فأصبح الإنسان الأوروبي يسعى إلى التنمية الإقتصادية والمادية ،مبتعدا عن القيم الروحية بالتدريج (مرحلة المدنية) ،أي سيطرت المادة.

ج- مرحلة الغريزة:

وتبدأ هذه المرحلة حسب بن نبي من التطور العلمي والعقلي الذي تحققه الحضارة المسيحية في المجال التكنولوجي والتقني ،وبداية تلاشي سيطرة الروح والعقل ،يقول: «ولعل من الواضح أن مشكلة الحضارة في العصر الحاضر لا تخص الشعوب الإسلامية فقط بل إنها أيضا تخص الشعوب المتقدمة نفسها التي تهدد فيها مدنيتها بالفناء»[1] بمعنى أن كل حضارة مهما حققت من رقي علمي ورفه مادي سوف تسقط لأنها في أثر تحصيلها العلمي والمادي ،قد ابتعدت عن القيم الروحية الراقية ،واستسلمت لغرائزها فأصبحت هي التي تقودها . وبهذا المعنى قد تنبأ سقوط الحضارة المسيحية الغربية ،فهو لم يحدد مؤشرات السقوط ،وإنما بفضل تحليله العميق ومقارنة الجلية الحضارات استنتج وتنبأ بذلك .

وعلى الأساس حدد بن نبي مسار الدورة الحضارية من خلال تحليله لنموذجين من الحضارات (الحضارة الإسلامية والمسيحية) ،وفي كلتيهما بدأت الدورة بالسمو الروحي الذي يتجلى في القيم الدينية والقوة الإيمانية ،بعد ذلك تدخل الحضارة حيز المدنية حيث يطغى الجانب العلمي والصناعي المادي عليها وتبدأ تأثير الفكرة الدينية شيئا فشيئا ،الى أن تصل الحضارة إلى مرحلة الغريزة أين تكون القيم الروحية والرصانة العقلية ليس لها وجود في الحضارة .

وفي ظل هذا التحليل العميق وازدواجيته بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية نقول أن بن نبي انطلق من استقراء الواقع الاجتماعي والتاريخي بمختلف دوائره ؛الدائرة الإسلامية والدائرة الإنسانية لكي يعطي أكبر مصداقية لتحليله بغرض الوصول إلى تحديد السنن و القوانين التي تحكم حركة التفسير التاريخي الإنساني ،سواء كان الإنسان مسلما أو غير مسلم فهو يتمتع بنزعة إنسانية عالمية .

[1] - مالك بن نبي ،المصدر نفسه ،ص 64.

المبحث الثاني : الأمراض والعوائق الحضارية في العالم الإسلامي

يرى بن نبي أن العالم الإسلامي يحيا في عصر ما بعد الحضارة أي تلك الفترة التي تلي مرحلة الغريزة ،فيكون في هذه المرحلة متفسخ حضاريا قد تأكل وأصابه وابل من الأمراض الحضارية والعوائق التي تحول بينه وبين استعادة حضارته وريادته ،وقد تنوعت هذه الأمراض والعوائق عند بن نبي كل حسب مجاله ،فما هي هذه العوائق ؟

المطلب الأول : الأمراض الذاتية

أ– طغيان عالم الأشياء:

وهي طغيان النزعة الكمية على حساب القيمة للشيء ،فمثلا لا يسأل المؤلف عن الموضوع الذي تناوله وإنما يسأل عن عدد صفحات الكتاب ،وعندما تريد إحدى المصالح الحكومية تجهيز مقرها تزوده بعدد خيالي من المكاتب ،والموظف الكبير يجب أن تكون في مكتبه أربعة هواتف وخمسة أجهزة تكييف ،يقول بن نبي «وإذا كان مجتمع ما قبل التحضر فقيرا في عالم الأشياء فإن مجتمع ما بعد التحضر مكتظ بالأشياء ،ولكنها خالية من الحياة»[1] بمعنى أن

[1] - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار ،مصدر سابق ،ص44.

المجتمع قبل أن يدخل في مرحلة الروح كان يفتقر للوسائل المادية ،إلا أن المجتمع في اكتمال دورته الحضارية(بعد مرحلة الغريزة) قد حقق التطور المادي والعلمي من اختراعات واكتشافات ،إلا أنها مجرد تكديس فليست من صنعه فالحضارة لا تستورد وإنما تنتج.

ب- طغيان عالم الأشخاص:

وهو تعلق الناس بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمبدأ ،قد تتجسد الأفكار بأشخاص ليسوا أهلا لحملها «كالقاعدة التي تقول الرجل المناسب في المكان المناسب ،إلا أنها هنا بتطبيق عكسي» ،فتحسب أخطارهم وانحرافاتهم على المجتمع الإسلامي أو على الإسلام ،[1]وهنا يستشهد بن نبي بالآية القرآنية التي جاءت حاسمة في هذا الموضوع قال تعلى في محكم التنزيل «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»[2] بمعنى أنه يجب على المسلمين حمل الرسالة والقيادة والدعوة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ،وهذا يذكرني بقول أبي بكر الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث خطب معشر المسلمين بأن من كان يؤمن بمحمد فإن محمدا قد مات وأن ما كان يؤمن بالله فإن الله حي لا يموت.

ج- طغيان عالم الأفكار:

يرى بن نبي أن عندما يكون المجتمع في حالة تخلف قد يصل به الأمر إلى طغيان عالم الأفكار ،فعندما لا يستطيع المسلم القيام بالعمل متميز يلجأ إلى الأفكار المجردة النظرية ،لا لتأخذ طريقها إلى التطبيق ،وبدل أن يتكلم عن معاناة الناس ومشاكلهم والتخطيط للمجتمع أفضل ،فهو يتكلم عن الماضي الذي له صلة بالحاضر ،أو ينقل معارف وهمية ليكون هو أحد أبطالها وتدفع المطابع كل يوم بالعشرات الكتب التي لا تمس الواقع بل هي هروب من هذا الواقع[3] ،بمعنى أن الأفكار تكون بالية أحيانا سخيفة ليس لها مكان في الموقع الحضاري ،فهي أفكار ميتة وفي نفس الوقت قاتلة لأنها تؤثر بالسلب وتأخذ حيز في فكر الإنسان .

المطلب الثاني: الأمراض النفسية

(1) - محمد عبدو: مالك بن نبي ،مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي ،مرجع سابق ،ص 89.

(2) - القرآن الكريم: سورة آل عمران ،الآية 144.

(3) - محمد عبده: مالك ابن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي ،مرجع سابق ،ص 90.

أ- القابلية للاستعمار :

يرى بن النبي أن المجتمع الإسلامي عاجز عن تحقيق نهضته مادام أفراده يتصفون بنوع من السلبية واللامبالاة اتجاه مشكلات الواقع الذي خطط له الاستعمار الذي فرضه عليه ،وحالة الرضا بالواقع المتدهور والأليم ،دون بذل جهد لتغيره وهو ما يسميه النبي "القابلية للاستعمار" والتي تستمد معناها من المناخ الثقافي الاجتماعي في مجتمع الانحطاط ،أو ما بعد التحضر كما يجليه الواقع المجتمعات والاستسلام[1]. بمعنى أن الهزيمة النفسية التي يعانيها الأفراد في المجتمع الإسلامي دفعت بهم السير عكس الاتجاه الصحيح للتقدم الحضاري وبالتالي الاستكانة والاستسلام ،فهذه النفسية المحبطة والمريضة هي جعلت من الطريق الاستعماري سهل التغلغل في الواقع العربي ،وهي أيضا التي ساهمت في إضفاء مظاهر الضعف والخذلان .

وتتجلى أيضا القابلية للاستعمار لذلك الكسل العقلي والعملي الذي تواجه به مشكلات تتطلب الفعالية والهمة العالية ،وأيضا محاربة المجتمع لفضائل الأخلاق ونشر الرذيلة بين أفراده ،وكم من رجل أعمال مسلح وظف أموالا طائلة لإنشاء قنوات فضائية لنشر الانحلال الأخلاقي في أواسط الشباب ،وبالتالي يستغل الاستعمار هذا العمل لصالحه أحسن الاستغلال ،حيث يقول بن نبي «من ثمة فالقضاء على مشكلاتنا أو إصلاح أحوالنا لا يكون بإلقاء اللوم على الأخر وتجاهل المصدر الأساسي المتمثل في طبيعة التركيبة النفسية الآن»[2] بمعنى أن القابلية للاستعمار هي ظاهرة تغلغلت في نفسية الفرد وسيطرة عليه ،وأصبح ينظر للأمور الجدية بالسلبية تامة ،وهذا ما جعله يضعف ويكون دوره بدون فعالية تذكر ،فيستسلم للواقع ولا يحاول أبدا التغيير ،لأنها بمثابة مخدر لعقله ونفسه فرضي بالواقع المرير بالرغم من فساوته وأصبح يلهث وراء توافه الأمور وأصغرها ناسيا أنه في معركة حضارية هو بطلها وقائدها وأرضها ،فالحضارة تبدأ منه وتنتهي إليه .

المطلب الثالث :الأمراض الفكرية

أ- النزعة الذرية :

[1] - نورة سعد خالد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص115.

[2] - نورة سعد خالد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك ابن نبي ،مرجع سابق ،ص 116.

يرى مالك ابن نبي ان عدم نجاح الأمة الإسلامية في تجاوز فشلها وتخلفها يرجع أساسا إلى غياب رؤيا متكاملة في دراسة مشكلاتها وتخلفها باعتباره مترابطة مع بعضها البعض ترابطا عضويا ،حيث يقول في وصفه للمجهود النهضوي الإسلامي « متفكك الاجزاء كأنه مركب على صورة خط منقط الذي يمر من نقطة إلى أخرى دون أن يصور شيا وإننا نجد هنا في صورته الاجتماعية المرض الذي سميناه الذرية في تفكيرنا »[1] بمعنى النظرة الجزئية للأحداث والوقائع من أسباب تخلف وتأخر العالم الإسلامي ،فقد أعطى مثال الخط الغير مترابط والغير متكاملة ،فهو مجموعة من النقاط والجزيئات دون رابط يحول بين النقاط في جمعهم ،هكذا حال العالم الإسلامي ،كل ينظر في إصلاحه من زاوية دون إعطاء نظرة شاملة وواضحة ودقيقة من اجل فهم متطلبات المشروع الإصلاحي .

ب- غياب النقد الذاتي :

يرى ابن نبي إن العالم الإسلامي ومختلف إدارته السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها ترفض النقد الذاتي والذي يمكن بواسطته معرفة الأخطاء وتداركها وغياب النقد الذاتي وهروبا من المسؤولية حيث يقول «إذ يحاول زعماء الحركة الحديثة أن يلقوا أسباب عطلهم بالاستعمار ،لكن ذلك ليس ضرب من التعليل ،إذ يقصدون بذالك هروبا من مسؤوليتهم الحقيقية »[2]بمعنى أن معظم أسباب التخلف و الانهيار الحضاري سببها الإنسان وحده ،لان هو من تقبل الاستعمار ،واستكان ،فلا يجب إرجاع أسباب الفشل إلى الأخر وإنما يجب مراجعة الذات ونقدها ومعرفة الفجوات الحقيقية في عدم الركب الحضاري ،وسد الثغرات الناقصة .

مما سبق نستنتج أن بن نبي اهتم بسؤال الحضارة في العالم الإسلامي اهتماما بالغا وذلك لحمل مشعل الراية الإسلامية التي دخلت دائرة التخلف فقد بدا مشروعه النهضوي أولا بتحديد أسباب التخلف الحضاري عند المسلمين والتي حددها في إطار منظم ودقيق معتبرا ذلك بداية طريق الإصلاح ،فعندما يعرف السبب في الانهيار الحضاري نستطيع ترميم البناء الحضاري بتجنب مهدماته أو إعادة صياغتها في قالب خادم للحضارة .

[1] - مالك ابن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 83.

[2] - محمد عبدوه:مالك ابن نبي ،مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ،مرجع سابق ،ص 90.

المبحث الثالث :آليات التغيير والنهوض الحضاري في العلم الإسلامي

بعد أن حدد بن نبي أسباب الانهيار الحضاري في العالم الإسلامي سعى إلى للإصلاح من حاله والنهوض به من سباته العميق واضعا خطة إستراتيجية تهدف إلى التغيير و التجديد الحضاري ،وقد تعمق بن نبي في مشكلة العلم الإسلامي وشخصية الإنسان المسلم في عصور التخلف الحضاري ،فقد حلل وقارن وفي الأخير استنتج أن العالم الإسلامي يجب أن يجدد واقعه الحضاري وأن يصلح ذاته ومجتمعه ،وعلى ذلك حدد بعض الآليات والشروط التي تجعل المسلم يدخل المعركة الحضارية من جديد ،فما هي هذه الآليات؟

المطلب الأول: بناء إنسان جديد وفعال

لقد طرح مالك بن نبي هذه الفكرة معتبرا أن المشكلة الحضارية مشكلة الإنسان التي ينبغي حل معضلتها وإيجاد الميكنزمات اللازمة لعلاجها حتى يصبح الإنسان فعالا بعد أن كرمه الله وخصه عن سائر مخلوقاته ،فهو المحور

والبعد والمشروع الذي أوجد له الدين الإسلامي مكانة رفيعة من خلال العناية به ،وتوجيهه الوجهة الصحيحة بعيدا عن السطحية والإستكانة ،ومنه سعى بن نبي ليقظة المجتمع الإسلامي ونهضته الحضارية ،ويعرف النهضة بقوله : «اللحظة الخاطفة التي تسجل نهاية الظلام في ضميرنا ودبيب الحياة في ذلك الضمير ،فهي اللحظة الفارقة بين عهد الفوضى الجامد والجمود الفوضى وعهد التنظيم والتركيب والتوجيه»[1] . بمعنى أن النهضة هي الحد الفاصل بين عصر الانحطاط والتخلف وعصر الإقلاع الحضاري والتغيير والتجديد بغية الإصلاح فالبني يقصد عهد فوضى الجامد تلك واللافعالية واللامبالاة التي يعيشها الإنسان المسلم في المرحلة الأخيرة من الدورة الحضارية ،والجمود الفوضوي هو الاستمرار تلك الفوضى التي يعيشها العالم الإسلامي ،فالنهضة هي إستراتيجية عميقة في إعادة التنظيم وبناء المجتمع الإسلامي.

والإنسان في نظر الشخص المسلم هو المنوط بالتغيير والنهوض الحضاري عند بن نبي ،حيث يقول :«إن الإنسان ليس في نظر المسلم الكم الذي تجري عليه الإحصائية ،والوزن أي الشيء الذي تجري عليه تجارب المختبر وعمليات المصنع ،وحجات الجيش ،فالإنسان ليس الكم بل الصفة التي قرنها الله بالتكريم في سلالة آدم ،فالمسلم يكرم هذه الصفة بصورة مطلقة»[2] أي أن الله كرم بني آدم وفضلهم على الكثير من المخلوقات وانعم عليه بملكة العقل ومنه وجب على المسلم إكرام هذه الصفة ،وذلك بتحريك الوعي فيها ،فالعقل يربط النتائج بالمقدمات ويحاول إيجاد العلاقات بين الأشياء ،دون جمود ،فالإنسان يجب أن يكون فعالا ويعمل عقله ،ولا يجب أن يكون آلة في يد العلم ومختلف تجاربه الواقعية.

وهذا هو المشهد الذي وقف عنده بن نبي طويلا على اعتبارات مشكلة المشكلات هي الإنسان والانطلاقة لا تكون إلا من الأمن هذا المحور _الإنسان_ الذي يفرض ضرورة تحريره من كل القيود ،وتهيئة الفضاء المناسب المحفز لكل قدراته والمجسد لخبراته ،كنتائج لما يحمله من أفكار وابتكارات ،وتجارب تصب كلها في أتون المشروع الكامل الذي يتجاوب مع هذا الإنسان ،وثورة التغيير الفعلية تبدأ حين يتم تحرير الإنسان من عقد النقص والانبهار

[1] - مالك بن نبي: شروط النهضة ، مصدر سابق ،ص 85.

[2] - ملك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 192.

بالغرب[1] . بمعنى أنه يجب على الإنسان أن يجدد فكره ويثق في نفسه وأن يكون فعالا ويثبت فعاليته في واقعه ،فلا ينبهر بمنتجات الغرب واستيرادها فالحضارة لا تستورد وإنما تنتج بفاعلية ذاتية .

ويرى بن نبي أن الإنسان الذي يصنع الحضارة له مسؤوليات وأهل للوظيفة المنوطة به حيث يقول :«إن الذي يرد للعالم شبابه لا بد أن يكون إنسانا جديدا ،قادرا على تحمل مسؤوليات وجوده ماديا وروحيا»[2] بمعنى أن معالمه الفكرية والنفسية والواقعية متغيرة ومتجددة ،وأولى خطوات التمجيد هو الرغبة في التغيير والدخول مرة أخرى في النطاق الحضاري وذلك في العديد من النقاط:

1-التغيير والتجديد النفسي:

إن المسألة الجوهرية في التغيير الحضاري عند النبي مرتبطة بذات الإنسان وهي نفسه بين جانبيه ،ويجب إذن إدراك البنية النفسية بأبعادها المتفاوتة ،لنعلم ما بها ونعرف كيفية تغييرها من حالة نفسية مذمومة إلى حالة نفسية محمودة[3] ،(أي من نفس قابلة للاستعمار إلى نفس تسعى لرفض الاستعمار الخارجي والداخلي).

فالتغيير الحضاري كما يرى بن نبي يبدأ من الأنفس ،وهذا ما يؤكده في قوله «وحتى يتحقق التغيير في محيطنا يجب أن يتحقق أولا في أنفسنا » فقد نادي الإسلام بضرورة أن يجاهد الإنسان نفسه أولا قبل الخوض في أي معركة أخرى ،لأن جهاد النفس أفضل جهاد ،والمؤمن القوي هو ذلك الذي يمتلك زمامها ويوجهها ،وهو ما تعرض إليها بن نبي إيمانا منه بالحقيقة الكاملة التي أقرها الإسلام ،فتمناها واعتقدها لأنها تمثل جميع معركة الإصلاح لهذه الأمة يقول بن نبي «يجب على المسلم أن يعرف نفسه من دون مغالطة وأن يعرف نفوس الأخريين من دون كبرياء وتعالي وبكل أخوة وصدق وإخلاص وأن يحبهم لوجه الله»[4] بمعنى على المسلم أن يعرف حقيقته كما هي بسلبياتها وإيجابيتها فيحاول تفعيل الإيجابيات والتخلص من السلبيات ،وأن ينظر للأخر دون تعال أو تكبر أو استصغار ،ومنه تنتج شبكة علاقات اجتماعية مبينيه على القيم المثل العليا التي يدعوا إليها الإسلام وهذا القول ذكرني بقول الأديب

(1) - بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بنبي،مرجع سابق ،ص 107.

(2) - مالك بن نبي: دور المسلم في ثلث الأخير من القرن العشرين ،مصدر سابق ،ص 59.

(3) - محمد السعيد مولاي : إشكالية الحضارة عند بن نبي، مجلة الموافقات ،العدد 3 ،ص 307.

(4) - مالك بن نبي: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ،مصدر سابق ،ص 39.

والفيلسوف الألماني غوته قال: «خطأ فأحش من المرء أن ينزل عن قدرها أو ينزل بها عما به هي جديرة» بمعنى تحقيق التوازن النفسي وأن يعيش الإنسان صفاته دون اصطناع .

ويرى بن نبي «أن الإنسان أمام خيارين فإما أن ينظر إلى قدميه نحو الأرض وإما أن يرفع عينه نحو السماء»[1] ففي الحالة الأولى يقع الإنسان تحت جاذبية غرائزه التي تشده نحو الأرض ،فهو عندئذ في حالة هبوط ،وأما في الحالة الثانية فهو يسمو بروحه نحو سماء ،فالنفس إما أن تتصاعد بفعل الروح على حساب الغريزة ،وإنما تتنازل بفعل الغرائز على حساب السمو الروحي وإنما هذه القطبية المزدوجة لتوجه النفسي تتجلى في قوله تعالى ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم﴾[2] فالمشي كالظاهرة سلوكية اجتماعية نوعان على العموم مشي مستقيم يدل على السمو الروحي والمشي فيه انكبات إلى الأرض يدل على الهبوط النفسي.

والنفس الإنسانية في القرآن الكريم نوعان نفس تقية ونفس فاجرة وهذا يظهر في قوله تعالى ﴿ونفس وما سوها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾[3] بمعنى نفس تقية: تساوى الإطمئنان والفلاح والثواب . ونفس فاجرة تساوي القلق والخيبة والعقاب ،ونفس عموما تساوي فجور + تقوى . فالجانب ألفجوري به تخلد النفس إلى الأرض وتستسلم إلى الهوى والغرائز ، فيكون الانحلال النفسي والاجتماعي ،والجانب التقي الذي يمكن الروح من الصعود إلى بارئها مطمئنة وتدفع المجتمع في حركة حضارية صاعدة بناءة وفعالة[4].

ويقتضي التوازن أن المضاعفة في جزء من هذه المعادلة نفس = فجور +تقوى ،تكون على حساب نقصان في الجزء الأول فإذا زاد الفجور نقصت التقوى والعكس صحيح فإذا طهر الإنسان من كل دنس وزكاها من كل فجور ،كانت لديه نفس تقية منعدمة الفجور ،وإذا ما دنس تقوها وأظهر فجورها كانت له نفس فاجرة منعدمة التقوى ،وبن نبي صاغ الحضارة في المعادلة (حضارة = إنسان +تراب+وقت) ،والنفس هي جوهر الإنسان . والذي تركيبها (نفس = فجور + تقوى) فإذا عوضنا الإنسان في المعادلة الحضارية (1)بالتركيبة النفسية (2) نجد صياغة كاملة للحضارة كما يلي: حضارة =(فجور + تقوى) + (تراب + وقت).

---

(1) - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 42.

(2) - القرآن الكريم ،سورة الملك ،الآية 22.

(3) - القرآن الكريم ،سورة الشمس ،الآية 7_8_9_10.

(4) - محمد السعيد مولاي : إشكالية الحضارة عند بن نبي،مرجع سابق ،ص 308.

ونرى من خلال هذه الصياغة أنه إذا انعدمت التقوى بدنسها وكبتها كانت الحضارة فجورية تماما تهوي بالإنسان إلى أسفل السافلين وإذا يرمز لها بالحضارة الصفرية ح0= فجور+تراب+وقت. وإذا انعدم الفجور في المعادلة الثالثة تجلى لباس التقوى كلية ليرفع الإنسان إلى أحسن تقويم ،وتبلغ الحضارة إلى أسمى معانيها ويرمز لها بالحضارة الواحدية ،ح1=تقوى+تراب+وقت.

وتوجد ببين الحضارتين الصفرية السافلة والواحدية السامية جميع أنواع الحضارات البشرية التي تتفاوت فيما بينها بقدر اقترابها من الأولى أو دنوها من الثانية[1].

وبناء على المنظور تتضح إشكالية التغيير والانبعاث الحضاري عند بن نبي والتي تتلخص في أنه يسعى إلى توجيه الفعل النفسي للإنسان نحو الحضارة الواحدية السامية ،ويجعل نفسه نفسا تقية مشبعة بالإيمان الصادق وبناءة.

2-الإيمان بالمبدأ الذي يعتنقه الإنسان:

هذا الإيمان يعطيه قوة فوق قوته ،واحتمالا فوق احتماله ،فيتغلب على المصاعب ويتحول هذا الإيمان إلى عاطفة قوية جارفة ،يقول «فالروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تتقدم وتنهض ،ومن يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بالتأثير الجاذبية الأرضية»[2] بمعنى أن الإيمان الصادق هو الذي يسمح للإنسان بالتجديد والبناء والسمو نحو المراتب العليا ،ومن ليس لديه إيمان صادق لا يسعه سوى الركود والركون في الدركات السفلى والإيمان هو الذي يعطي للإنسان القدرة على المواجهة والصناعة العقلية.

ويرى بن نبي كلما كان الإيمان قويا كان مؤشرا على أن الحياة الفكرية والمادية والعلمية قوية ،وهذا ما يؤكده بن نبي في قوله «أينما يتوقف إتباع الروح يخمد إشعاع العقل»[3] بمعنى أن الإنسان يفقد تعطشه إلى الفهم وإرادته إلى العمل ،عندما يفقد الهمة التي تتبلور في قوة الإيمان ،والمسلم الذي يصل غلى درجة التوتر الروحي كما يعبر بن نبي يشعر بالسعادة الغامرة وهو يبني أول مسجد في المدينة ،وهذه الحالة تجعل بلال رضي الله عنه يصبر ويتحدى قريش وهو يردد "أحد" "أحد" وهو ما يؤكده "إلكسيس كاريل" معبرا عن هذه الحقيقة بقوله: «الإيمان الذي يدفع الإنسان

[1] - محمد السعيد مولاي : إشكالية الحضارة عند بن نبي،نفس المرجع ،ص308-309.

[2] - مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،مصدر سابق ،ص 28.

[3] - مالك بن نبي: المصدر نفسه ،ص 31.

إلى العمل وليس العقل ،والذكاء يكتفي بإنارة الطريق ولكنه لا يدفعنا إلى الأمام»[1] فالإيمان العميق سواء الديني أو الفكرة التي يعتنقها الإنسان ويسعى إلى تحقيقها التي تتحكم في سير الحركة ومدى فعاليتها.

ويقصد بن نبي بالتوتر الروحي سيطرة الإيمان والدين على العقل والقلب ،فلا يتحرك الإنسان إلا بإذنه ،لأن الإيمان أتم النقص الذي فيه وأشعره بالسعادة والطمأنينة ،وهذا يتجلى في قوله تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾

3-تحقيق الفعالية:

يركز بن نبي كثيرا على هذا الموضوع باعتبار أن رسالة الإنسان المسلم الذي يريد أن يغير واقعه ويحقق دفعته الحضارية ،يجب أن يكون فعال في التفكير والتطبيق والبناء والفهم . فهو يرى أن الإنسان المسلم بالرغم من أنه يحمل أفكار صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في الواقع لغياب الفعالية البناءة ،يقول:« لقد افتقد الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها ،وبين الأشياء وأهدافها ،لأنه لا يفكر ليحل بل ليقول كلام مجرد»[2] ،بمعنى أن المسلم يفتقر إلى رؤية واضحة وجادة للأمور ،لأنه لا يعمل وفق خطة إستراتيجية تحقق حضارته وطريقة ممنهجة تنظم أموره ،فلم يعد يفكر من أجل العمل الكفء والفعال ،بل أصبح يؤسس لكلام خاوي المعاني ،جاف مثل التنميق اللفظي والخطابات السياسية والفكرية الجوفاء.

ومن الآليات التي تحقق فعالية الإنسان هي:

أ-ربط الفكر بالعمل:

وذلك بالجمع العمل النظري والتطبيقي ،إذ يجب أن تكون المجهودات والتحديات في التأسيس العلمي مرتبطة مباشرة بغايات وأهداف عملية براغماتية مفيدة من متطلبات الواقع ،وبالتالي يصبح العلم أداة للنهوض الحضاري فكما يقول بن نبي «العلم الذي لا يترجمه عمل يظل ترفا لا مكان له في وطن ما يزال فقيرا في الوسائل والأطر»[3]

[1] - محمد عبدو: مالك بن نبي ،مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي ،مرجع سابق ،ص 93.

[2] - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ،مصدر سابق ،ص 84.

[3] - مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه ،دمشق ،دار الفكر ،ط1، 1978 ،ص 40.

بمعنى أنه يجب على كل فكرة علمية التي تترجم إلى أداة عملية خصوصا أننا في الواقع الذي يفتقر إلى كثيرا إلى الوسائل والأطر الممنهجة ،فكما يبدوا أن بن نبي في هذه النقطة هو براغماتي الطرح .

فيجب تجاوز تشدق والتغني بالألفاظ العذبة الخالية من أي مضمون عملي وتأسيس حضاري ،فعلى الإنسان أن تكون كتاباته وكلماته سلاحا يواجه به مشكلاته الحضارية حيث يقول «لا ينبغي لمن يكتب أن يكون مجرد أداة كاتبة تنقل لنا نسخة دون أن تقدر الكلمات التي يكتبها أي نتيجة ،إن على من يكتب أن يقدر واجبا إزاء الكلمات التي يكتبها وذلك بأن يتبعها خارج مكتبه في معركة الحياة والصراع الفكري»[1] بمعنى أنه يجب على الباحث أو المثقف أو المفكر وكل من ينتج فكرة ،أن تكون لها غاية وهي البناء الحضاري ،وتحقيق الفعالية وبذلك يكون منطقي في فلسفته الحضارية ،حيث يربط بين الأسباب والنتيجة ،وتكون غاية أفكاره هي تحقيق الفعالية الحضارية . وتجدر الإشارة بأن اقتران الأفكار بالتطبيق وتحويل الأقوال إلى أعمال ،هي مبادئ دعي إليها الإسلام وذلك في العديد من المواضع في القرآن الكريم منها " يأيها اللذين أمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"[2] أي انطباق للفعل والقول.

ب–الاعتماد على القدرات الذاتية:

إن الدخول في دورة الحضارة والسعي إلى النهوض والتجديد الحضاري هي غاية يطمح لها كل الشعوب والمجتمعات ،وأغلب المجتمعات التي عاشت هذه المرحلة وخاضت هذه التجربة لم تكن تتوفر لها من الوسائل إلا ثلث الإمكانيات الضرورية والعادية ،والمتمثلة في تلك القدرة الذاتية للإنسان ،وتوظيفها وتكيفها وتوجيهها للسيطرة على ذاته ،والطبيعة والزمن بإعتبار أن هذه العناصر الثلاثة موجود تحت تصرفهم مباشر. «فالتراب هو عماد حياته المادية والوقت هو رهن مشيئته لا ينازعه فيه أحد ،ولديه من العبقرية ما يعينه على التصرف فيهما»[3] بمعنى أن التراب والذي يقصد به بن نبي هنا الأرض يعيش الإنسان دائما وأبدا في ظله ،والوقت يكيفه الإنسان ويوجهه كيفما يشاء وبالتالي توظيف قدراته الشخصية في التصرف الحضاري وفق عنصر التراب والوقت وذلك بإيجاد نمط فكري أو عملي يسعى إلى البناء الحضاري حسب الطاقات والقدرات المتوفرة عند الإنسان.

---

[1] - مالك بن نبي: في مهب المعركة:القاهرة ،دار الجهاد ،ط2 ،1978 ،ص 137.

[2] - القرآن الكريم ،سورة الصف ،الآية 2،3.

[3] - مالك ابن نبي :ميلاد مجتمع ،مصدر سابق ،ص76.

المطلب الثاني: بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

إن المجتمع عند بن نبي ،ليس مجرد تجمع كمي ولكنه اجتماع نوعي يسير وفق التوجه المشترك من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية محددة ،الأمر الذي يرفع من أهمية الصلات الداخلية «كرأس مال لربط بين أفراد المجتمع وجماعته من حيث استشارة الأفراد من اجل العمل كوحدة النهوض بمجتمعه» بمعنى أن العلاقات الاجتماعية هي اجتماع أفراد تحت لواء حضاري واحد تؤطرهم في ذلك خاصية الانسجام والتفاعل فيما بينهم . والعلاقات الاجتماعية هي التي تكسو الحياة الاجتماعية بطابع مقدس ولا يتسنى للإنسان الاستمرار بدونها ،فإنه في مستوى حشرة بسيطة كالنحلة التي تعمل في (مجتمع النحل) فإذا انفصلت عن مجتمعها فإنها تموت فالإنسان شأنه شأن النحلة فإذا انعزل عن مجتمعه وحاول العيش بجهده الخاص فإنه مصيره بغير شك الموت[1].

وعندما يربط الإنسان وجوده بغيره من إخوانه فإنه «يتجاوز بذلك مرحلة الطفولة الاجتماعية إلى مرحلة النضج الإنساني» ،أي يكون الإنسان قد أدرك أهمية العيش في جماعة تربطها بها روابط عميقة ضرورية لاستمراره كإنسان اجتماعي مدرك لذاته ،فالطفولة الاجتماعية هي أنانية الفرد وانعزاله[2]. وتوافق لحركة سير المجتمعات في بناء حضارتها نجد تحتكم إلى ثلاثة أقطاب اجتماعية عالم الأشخاص بما يشكله من كتلة بشرية عاملة وعالم الأفكار باعتباره قوة مبدعة محركة وعالم الأشياء بوسائله المساعدة للأشخاص والأفكار في مزاولة نشاطها حيث يقول بن نبي «إن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاثة :تأثير عالم الأشخاص ،تأثير عام الأفكار ،تأثير عالم الأشياء لكن هذه العوامل لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك ،تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من عالم الأفكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص»[3] بمعنى توافق عالم الأشخاص و عالم الأفكار وعالم الأشياء في عمل مشترك لا يأتي إلا بتوفر صلات ضرورية تربط الأفكار بالأشخاص من أجل استغلال أحسن الأشياء ،وهذه الصلات يحققها عامل مركب للعوامل الثلاثة ،وهي بمثابة الروح التي تحركها في مسيرتها ،وهذا ما يسميه بن نبي «شبكة العلاقات الاجتماعية» وبالتالي ناتج هذا التركيب يكون على شكل تغيير أو تجديد

[1] - مالك بن النبي: تأملات ،مصدر سبق ذكره ،ص 60.

[2] - محمد البهيمي: الدين والحضارة الإنسانية ،بيروت ،دار الفكر ،ط 3 ،د ت ،ص 51.

[3] -بشير ضيف الله :فلسفة الحضارة في فكر مالك ابن نبي ، مرجع سابق ،ص 84.

حضاري ،ومنه يجب على كل مسلم ــبعد الموحدينــ أن يسعى إلى إعادة ترميم وبناء شبكة العلاقات الممزقة من أجل الدخول في الحضارة مرة أخرى.

ويؤكد بن نبي أن تماسك العلاقات الاجتماعية هي التي تحدد ماهية الحضارة ومصيرها ،حيث يقول: «فالإمكان الاجتماعي هو الذي يقرر مصير المجتمعات والدول»[1] بمعنى أن الإدارة الاجتماعية هي التي تحدد خاصية الحضارة من تقدم وقوة أو تخلف أو ضعف ،وتتحكم في مصيرها ومآلها أي ثباتها وزوالها.

*** الدين وشبكة العلاقات الاجتماعية:**

إن للدين أهمية قصوى في فكر بن نبي فهو المركب والمؤسس الحضاري ،والدين يلعب دور الكبير في تفعيل دور شبكة العلاقات الاجتماعية عند المسلمين ،فهو يبعث تلك الفعالية والإرادة الاجتماعية في طاقات الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع (القلب ،العقل ،الأعضاء)[2] باعتبارها المترجم العملي للطاقات الحيوية ،فتوجه إلى ممارسة مهام أكثر سموا ،فعندما يتبع الفرد القيم الدينية فإن القلب يصدر الدوافع المشحونة بالقيم الأخلاقية ،فيدرجها العقل في شكل توجيهات و سلوكات قويمة وفاعلة بفضل الأعضاء الاجتماعية (اليد العاملة) ،لخدمة الصالح العام في كافة المستويات.

وشبكة العلاقات الاجتماعية تزداد متانة وصلابة وفعالية عندما يكون أفراد المجتمع منسجمين ومتناغمي الأدوار ،يسعى كل واحد منهم إلى القيام بدوره في سبيل الجماعة فالفرد فيها يكون للجماعة ،يتأثر ويؤثر فيها ،وهذا ما يعبر عنه الله عز وجل في كتابه العزيز حيث قال : ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾[3] وقوله صلى الله علية وسلم : « مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد ،إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى».[4]

فتفاعل الأشخاص فيما بينهم يخلق قوة حضارية لها امتداداتها ،والمسلم ضعيف وحده قوى مع الجماعة ،وكلما اجتمعت الجماعات كلما كانت أقوى وأقوى ،فعلى المسلمين مهما اختلفت نطاقاتهم الجغرافية وحدودهم وأنظمتهم الإيديولوجية أن يجتمعوا على كلمة الحق وإحياءها والسمو بالراية الإسلامية لكي يحتل النصيب الأكبر في سماء العالم.

---

(1) - مالك بن نبي: آفاق جزائرية ،مصدر سابق ،ص 101.

(2) - محمد البهيمي: الدين والحضارة الإنسانية ،مرجع سابق ،ص 52.

(3) - القرآن الكريم ،سورة الصف ،الآية 4.

(4) - متفق عليه ،أخرجه البخاري ،رقم الحديث 5665.

رفع المستوى التعليمي:

«لكي يحقق الإنسان غايته يجب أن يجعل العلم وسيلة وآلة لتحقيق النهوض الحضاري ،لا مجرد مظهر من مظاهر الزينة والترف بأن تضاف والألقاب العلمية والأكاديمية إلى أسمائنا دون أن نقدم شيئا لمشروعنا النهضوي والحضاري ،الذي قد يتعثر سبب عجز طالب العلم والباحثين عن فهم متطلبات واقع أمتهم من جهته ،ومن جهة ثانية تمثلهم للمذاهب الفكرية المستلهمة من بيئته ثقافية ومحيط اجتماعي ومرحلة تاريخية مختلفة[1] ».

فإذا أراد المسلم أن يقوم بدور الرقي بالنسبة للشعوب المتحضرة والمجتمع المتحضر وأراد أن يقدم لمبررات جديدة التي تنتظرها تلك الأرواح التي يتألم لفراغها وحيرتها وتيهها ،فإذا أراد المسلم ذلك فليرفع مستواه العلمي والمعرفي[2] . بمعنى كلما ارتفع المستوى التعليمي والمعرفي المنضبط والمنهج الفعال، كلما ارتفع الإنسان و ارتقى نحو البناء الحضاري فتكفي أن أول آية نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تحث على طلب العلم .

إن الأهمية التي تكتسبها مكانة الإنسان في منظومة البناء الحضاري عند بن نبي تتمحور في أنه هو محرك الحضارة ،فأي تفكير في التنمية والتجديد الحضاري هو تفكير في مشكلته ،فهو الأساس في أي عملية تغييريه ،وهو المستهدف أيضا من وراء كل تغيير فالحضارة منه وإليه .

المطلب الثالث :إعادة توجيه وتفعيل الجانب السياسي

تبنى الدولة على العديد من الأسس سواء الاجتماعية أو الدينية أو السياسية ،هذا الأخير الذي اعتبره بن نبي أن يساهم بشكل كبير في إعادة بلورة فكر حضاري راقي ،ويقوم على العديد من النقاط:

1- أسبقية الواجب على الحق:

حيث يرى بن نبي أن الفرد يميل بطبيعته إلى نيل حقوقه ،وقد يتثاقل عن القيام بواجبه ،والأمة المريضة والمعاقة حضاريا هي التي تسعى دائما إلى المطالبة بالحقوق ونسيان الواجبات ،يقول :«إن المطالبة بالحقوق إغراء شديد ،لأنها كالعسل الذي يجذب الذباب ويجذب الانتفاعيين ،بينما كلمة الواجب لا تجذب غير النفعيين ،فكلمة الواجب توحد

[1] - مالك بن نبي: في مهب المعركة ،مصدر سابق ،ص 140.

[2] - نورة سعد خالد: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ،مرجع سابق ،ص 86.

بينما كلمة الحق تفرق وتمزق ،وهكذا ما خرجت دولة من العالم الثالث من ربقة الاستعمار إلا وتناحرت أحزابها على المطالبة بحق اقتسام الغنائم بدلا من أن يتكلموا في الواجبات »[1] ،بمعنى أن وضع اللافتات وعقد المؤتمرات والندوات التي تطالب بالحقوق على حساب الواجبات ،يستهوي أصحاب العقول الصغيرة الذين يسعون للربح السريع وذلك في قطع شوط صغير فقط ،فقد شبههم بن نبي بالذباب الذي يثيرهم الكلام المرموق السهل والذي يعبر عن عجزهم وعدم كفاءتهم ،فالمطالبة بالحقوق حسب بن نبي يجذب إليه الانتفاعيين والانتهازيين الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الذاتية ،دون القيام بأي مجهودات ،لأن الحق أصليا هو المطالبة بما يتمتع به الإنسان من ضمانات وإمكانيات توفر له الراحة والسكينة لكن بعد القيام بالواجبات.

بينما كلمة الواجب حسب بن نبي تؤثر على الفاعلين الذين يسعون إلى زرع المنفعة والفائدة في مجتمعهم والواجب جامع وموحد لكل فتات المجتمع ،لأنهم يحيون تحت لواء واحد يضمن حقوقهم بمقابل أداء واجباتهم ،بينما الحق يفرق الجماعة ويمزق شبكة العلاقات الاجتماعية ،لأن الأفراد يصبحون ....مصلحتهم الذاتية فقط ويسعون لتحقيقها على حساب الجماعة.

ولقد اعتبر بن نبي ،أن شعوب العالم الثالث الذين يعيشون فترات ممتدة من السيطرة الاستعمارية ،ما فتئوا بعد الاستقلال إلا للمطالبة بالحقوق بدلا من سعيهم إلى إعادة البناء والتشييد للحضارة ،من أجل الدخول في الزمرة الحضارية مرة أخرى.

فلهذا يجب على الفرد أن يفكر في مسؤوليته الفردية والجماعية اتجاه نفسه ،واتجاه غيره من أفراد الجماعية وحتى تمتد إلى الإنسانية جمعاء ،لأننا كلنا نعيش تحت نطاق حضاري واحد ،فقد يكون هناك أشخاص لهم حقوق علي فيجب أن أقوم بواجبي اتجاههم.

فالحق والواجب تربطهم علاقة لزومية اتصالية ،فلا يمكن الفصل بينهما لأنه عندما يقوم الانسان بواجبه سوف ينال حقوقه ،وليس العكس الذي يحتم إلى المطالبة بالحقوق دون الأداء الواجباتي نحو الغير والمجتمع والحضارة ،لا تؤسس في ظل هيمنة الحقوق على حساب الواجبات لأن الحضارة في حد ذاتها إنتاج وإبداع وبناء وتعمير وليست استكانة خمول.

[1] - مالك بن نبي :بين الرشاد والتيه ،مصدر سابق ،ص29.

2- توافق عمل الفرد مع عمل الدولة والثقة المتبادلة بينهم:

يرى بن نبي أن الفعل السياسي لا يحقق غاياته إلا إذا انسجم عمل الفرد مع عمل الدولة ،فإذا تبنى كل فرد أساسيات السياسة في دولته ،وعمل جاهدا على إرساء مبادئها وقيمها ،ازدهرت الدولة ،حيث يقول :«فالسياسة لا تستطيع أن تكون العمل الذي تقوم به الأمة كلها ،إلا بقدر ما تكون مطبوعة في عمل كل فرد منها»[1] بمعنى أن عمل الفرد والدولة يجب أن يكونا في تكامل وانسجام تام ،فينبغي أن تكون الدولة والشعب في تعاون مستمر سواء على الصعيد السياسي أو مختلف الأصعدة الأخرى التي تتحكم فيها الدولة ،كالجانب التعليمي والاقتصادي والثقافي وغيرها ،فهذا الانسجام يضمن التفوق والازدهار ،فالتعارض بينهم هو السبب في السقوط الحضاري ،فتلك العلاقة القائمة على الثقة والانسجام هي التي تحقق الرفاه السياسي والحضاري.

وكحوصلة على ما ورد في هذا المبحث نقول أن بن نبي رجل إصلاح حضاري بالدرجة الأولى ،لأنه اهتم بقضية النهضة الحضارية الإسلامية و أكد أن ما آل إليه المجتمع الإسلامي من تدهور و انحطاط في كافة المجالات إنما سببه خلل في ثقافة الإنسان في و اضطراب في منظومته الفكرية و القصور في نسقه المعرفي الذي تشكل في سياقه التاريخي.

وصفوة القول ان مالك بن نبي قد ارسى معالي الدور الحضاري من حيث المفهوم والخصائص والمراحل ،وقد طبقه على نموذجين اساسيين من الحضارات هما الحضارة الاسلامية بمقوماتها من دين ولغة،والحضارة المسيحية وماطرء عليها من تغير من ميلاد المسيح إلى بروزها كحضارة قائمة بذاتها ،محدد اهم المعالم الفلسفية والفكرية لكل دورة حضارية في أي نطاق حضاري معين.

إن مالك بن نبي أكد أن عملية الإصلاح و التجديد إنما تتمحور حول بناء الإنسان، فيجب تغيير نفس البشرية أولا بدل النظم السياسية هذه النفس عندما تتغير تستطيع تكوين فقه رصين في معرفة الواقع و بالتالي تغييره، فعملية الإصلاح و التجديد لن تتم إلا إذا استطاعت الأمة أن تحدد بدقة أزمتها الحقيقية، و بالتالي تكون مؤهلة

[1] - مالك بن نبي :بين الرشاد والتيه ،مصدر سابق ،ص84.

لتقديم العلاج الشافي و الكافي، فهذا الوعي المنهجي هو حماية للحضارة من الأفول و طريق صحيح من أجل بلوغ النجاح، و توظيف حاجات الفرد و تطلعاته و إمكانياته في التأسيس الحضاري.

* بعد تحديدنا لمعالم الدورة الحضارية في فكر مالك بن نبي نقول أن فكرة التعاقب الدوري عنده هي فكرة صحيحة واضحة المعاني، لكن قول مالك بن نبي بأن العالم الإسلامي عاد إلى حالة البدائية، هي نظرة سطحية تعبر عن استعلاء الأوربيين على العالم الإسلامي خصوصا في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، فلا شك أن الأمة الإسلامية قد مرت بحالة ضعف و تخلف و ما تزال إلا أنها أمة متجددة كما أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول في الحديث الشريف:"إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينه".

وفيما يخص دورة الحضارة الإسلامية أن سقوط دولة الموحدين(541-668م) قلبت موازين القوى في العالم الإسلامي، نقول أن هذا التقسيم غير دقيق فهو يحتاج إلى تفصيل و تأكيد محكم، فقد مرت سبعة قرون على سقوطها و القول بأن هذه المدة الطويلة من عمر الحضارة الإسلامية يتميز بالضعف و الاستكانة فيه مجازفة و ظلم، و الأمة الإسلامية كما جاء في الحديث الشريف:"هي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره".

وقد جاءت بعدها دولة جمعت العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه و تميزت بالازدهار الاقتصادي و التقدم السياسي و الثراء الفكري و هي الدولة العثمانية.

الخاتمة

الخاتمة:

تعتبر نظرية الأدوار المتعاقبة من أهم النظريات المفسرة التاريخ الحضاري ،لأنها تشتمل على مبادئ وقيم سامية وأساسية لتصور ايجابي يهدف في السيطرة على التاريخ وتوجيهه ،فهي تسعى إلى بناء منظومة فكرية فاعلة فيما يتعلق بتفسير الظاهرة الحضارية ،والانخراط في أي مشروع نهضوي ويعتبر مالك ابن نبي من بين القائلين بها ،فالحضارة كما يرى ويعبر عن تطورها التاريخي أنها تمر بأطوار متباينة فهي سلسلة متصلة الحلقات تأسس كل منها على الأخرى كما يرى أن مصطلح النهضة مبني على مرحلة لاحقة للسقوط أي أن مرحلة الحضارة تعقب الضعف والانحلال وجمرة توقد لبعثها من جديد فهي خيار بشري ومظهر من مظاهر إرادته الجبارة .

فقد سعى ابن نبي إلى حل أزمة العالم الإسلامي ،وبناء منهج قويم لنهضته فقد ركز على الحضارة الإسلامية وما تعقب أطوارها من ميلاد إلى اضمحلال ،وكشف على البنى الحضارية الإسلامية المرضية والعلاجية ،وقد أكد أن الأزمات التي يمر بها العالم الإسلامي وما تلحقه من أثار سلبية عليه تفرض على المثقف المسلم أن يقدم قراءته للأحداث على ضوء الواقع والتاريخ من اجل مراجعة القرارات والمواقف وتقويمها ،وإعطاء تصور سليم لها ،فالعالم الإسلامي مرشح لان يعيد بناء حضارة إنسانية بديلة ،بما يمتلكه من قيم حضارية سليمة .

يعتبر مالك ابن نبي مصلح ونهضوي فقد قدم إيجابات لراهن الحضاري وينظر لتاريخ البشري الواقعي محاولا تغييره بالأساس ،لا الوقوف عند تصورات مثالية أو افتراضية ،أي انه يتوجه مباشرة إلى معالجة المشكلات التاريخية والواقعية من اجل الوصول إلى حلول لها طريق تحديد لمسار حركة التاريخ ومن هنا يمكن أن نحدد أهمية الفكر الحضاري عند ابن نبي فهو لم يقتصر على الجانب النظري فقط إنما حاول أن يلامس المشكلات الحضارية ،وان يقدم لها حلولا موضوعية ممكنة ،فالمشكلات التي اهتم بها لم تكن من افتعال فكره أو نسج خياله وإما هي مشكلات فرضها عليه الواقع الحضاري الذي يعاصره .

كما أن فكر مالك ابن نبي يتميز عن كثير من مشاريع النهضة والإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر التي اقتصرت على الجانب العقائدي والفقهي ،فالقاعدة الأساسية في التغيير الحضاري في العالم الإسلامي عند ابن نبي ليست الدعوة إلى اعتناق القيم والمبادئ الإسلامية وإنما مدى تفعيلها في المجال النفسي والاجتماعي والواقع الحضاري للإنسان ،فالإسلام دين صلاح وحركات ايجابية تهدف للخير والسعادة الإنسانية ككل ،ولكن لا يكفي مجرد التنظير

لهذه الجمل البراقة وإقامة الندوات والملتقيات وتأليف الكتب دون تطبيق فعلي واقعي ،لان جوهر المشكلة الحضارية يتعلق بمدى قيمة المبادئ الموجهة للمسار التاريخي وذلك بتفعيلها واقعيا .

قدم مالك ابن نبي مشروع حضاري في أبعاده ،ثقافيا واجتماعيا في جوهره ،يجمع في تحليلاته لمشكلات الحضارة مع وحدتين أساسيتين هما الحضارة والفرد ،الأولى كأوسع وحدة اجتماعية يمكن تحقيق فيها التاريخ والثانية كأصغر وحدة اجتماعية ،فالإنسان هو حجر الأساس لبناء الوحدة الكبرى.

قائمة المصادر والمراجع

.....

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. بن نبي مالك: المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ترجمة عمر مسقاوي، دمشق، عالم الفكر،ط1،د ت.

2. بن نبي مالك: شروط النهضة،تر: عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ،القاهرة ،دار الجهاد ط1 1957.

3. بن نبي مالك:الفكرة الأفرو أسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، تر: عبد الصابور شاهين، القاهرة مكتبة دار العروبة،ط2، ،1957.

4. بن نبي مالك ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: محمد عبد العظيم علي ،دار الفكر ط1،1970.

5. بن نبي مالك: أفاق جزائرية، تر: شريف الطيب ،بيروت ، دار الارشاد ،ب ط ،1970 .

6. بن نبي مالك: الحديث في البناء الجديد، تر: عمر كامل مسقاوي ، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، دط، 1977 .

7. بن نبي مالك: بين الرشاد والتيه ،دمشق ،دار الفكر ،ط1، 1978.

8. بن نبي مالك: في مهب المعركة:القاهرة ،دار الجهاد ،ط2 ،1978.

9. بن نبي مالك: تأملات، بيروت ،دار الفكر المعاصر، ط1 ،1979.

10. بن نبي مالك: ميلاد المجتمع،تر:عبد الصبور شاهين، دمشق ،دار الفكر، ط3 1980.

11. بن نبي مالك:مشكلة الثقافة، ترجمة:عبدالصبور شاهين،دمشق،دارالفكر،ط4 ،1984.

12. بن نبي مالك: الظاهرة القرآنية ،تر :عبد الصبور شاهين ،بيروت دار الفكر ط3، 1989.

المراجع:

1. ابن خلدون عبد الرحمان :المقدمة ،بيروت :دار الفكر ،دط ،2007 .

2. أبو السعود عطيات: فلسفة التاريخ عند فيكو، الإسكندرية : دار منشأة المعارف، دط ، 1997.

3. بارندر جيفري: معتقدات الدينية لدى الشعوب، تر:امام عبد الفتاح امام،القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، ط2، 1996.

4. الباسني أحمد: مدخل إلى فكر مالك بن نبي ،د م، د ط ،2014 .

5. برغوث الطيب: محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند بن نبي،دمشق، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط 2، 2004.

6. بريستون رولان:جغرافيا الحضارات،تر:خليل أحمد خليل ، بيروت ، منشورات عويدات ، ط1، 1993.

7. البطانية محمد ضيف الله: الحضارة الإسلامية، عمان ، دار الفرقان ،ط1 ، 2003.
8. البهيمي محمد : الدين والحضارة الإنسانية، بيروت، دار الفكر، ط 3، د ت .
9. البوطي محمد سعيد رمضان :منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ،دمشق :دار الفكر ،د.ط ،د.ت.
10. بيجوفيتش علي عزت:الاسلام بين الشرق والغرب،ت،يوسف عدس،بيروت:مؤسسة العلم الحديث،ط،1994.
11. البيرون فوزية: مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة ،دمشق دار الفكر ،د ط ،2010 .
12. تشيكو امينة:مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي واورلوند تويني، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتابة ،ط،1989.
13. تومبسون ميكل وآخرون :نظرية المعرفة ،تر:علي السيد الهاوي ،الكويت :عالم المعرفة ،د.ط .
14. جناريه احمد بتول : على عتبات الحضارة ، بحث في سنن و عوامل التخلق و الانهيار ، سورية ،دار الملتقى ،ط1 ،2011.
15. حلمي مطر أميرة: مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ،القاهرة ، مكتبة مدبولي ، دط، 2003 .
16. حلمي مطر أميرة: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها القاهرة ، دار الأنباء ، دط، 1998 .
17. الحويسي عبد الله: مالك بن نبي ،حياته وفكره، دمشق ،دار الفكر ،د ط ،2012 .
18. خالد السعد نورة: التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن النبي، دراسة في بناء نظرية إجتماعية، الرياض، دار السعودية لنشر والتوزيع، ط1
19. ديورانت ويل:قصة الحضارة ،ج1 ،تر:زكي نجيب محمود ،بيروت ،دار الجيل ،ط2 ،1988 .
20. الذوادي محمود :الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب العلوم الاجتماعية ،بيروت :دار الكتاب الجديدة ،ط1 ،2000.
21. زريق قسطنطين: في معركة الحضارة (دراسة في ماهية الحضارة واحوالها الحضارية) بيروت ،دار العلم للملاين ،ط1،دت.
22. سامي النشار مصطفى : فلاسفة أيقضوا العالم ، القاهرة ، دار قباء ، ط3 ، 1998م.
23. سراج الدين اسماعيل:مع ابن خلدون في رحلته :القاهرة ،دار اخبار اليوم ط1، 2006.
24. شبنجلر أوزفالد : تدهور الحضارة الغربية ، ج1، ترجمة : أحمد الشيباني ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ط1، 1964.
25. شيفتزر ألبرت :فلسفة الحضارة ،تر:عبد الرحمان بدوي ،مراجعة زكي نجيب محمود ،الإسكندرية ،المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ،د.ط ،د.ت.
26. ضيف الله بشير: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، د م، د ط، 2014.

27. عابد الجابري محمد: مسألة الهوية والعرورية والإسلام والغرب ، بيروت، مركز الدرسات الوحدة العربية ،ط3، 2006.

28. عابد الجابري محمد:المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط 2،دت.

29. عبد اللطيف عبادة : مناهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير ، مجلة الموافقات ، العدد الثالث ، جان 1994.

30. عبده محمد : مالك بن نبي،مفكر إجتماعي ورائد اصلاحي،دمشق،دار الفتح،دط ،1973.

31. عكاشة، شايف الصراع الحضاري، دراسة تحليلية في فلسفة الحضارة عند بن نبي، دمشق،دار الفكر د ط 1986.

32. الغازي توبة: الفكر الإسلامي المعاصر بيروت، دار الصلح، ط2، 1977.

33. الغنيمي الشيخ رأفت:فلسفة التاريخ،القاهرة،دار الثقافة لنشر والتوسيع ،دط،1988.

34. لينتون رالف: شجرة الحضارة،تر:احمد فخري،ج1،مصر:مكتبة أنجلو المصرية،ط.

35. المودودي أبو علاء:نحن والحضارة الغربية ، الجزائر : دار السعودية للنشر و التوزيع ، د ط، 1988.

36. موسى إشراق :تاريخ الحضارات العام ،تر: فؤاد ابوريحان ،بيروت ،منشورات عويدات،ط2 ،1996.

37. مؤنس حسين:الحضارة –دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها –،الكويت ،عالم المعرفة ،د.ط ،د.ت.

38. النبراوي فتيحة عبد الفتاح: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 14، 2004.

39. النشار مصطفى: فلسفة التاريخ ، القاهرة ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، ط1، 2004.

40. النشار مصطفى: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، د ط.دت.

41. الوردي على: منطق ابن خلدون ،الاردن ،دار الكوفان ، ط2، 1994.

42. ويدجري ألبان: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة ، عبدالعزيز توفيق جاويد ، ج1، مصر : مكتبة الشيخ للمترجمين ، ط2 ، دت.

43. ويلسون كولن : سقوط الحضارة ، ت : أنيس زكي حسن ، بيروت : دار الأدب ، ط3 ، 1982.

المعاجم وقواميس:

1. آبادي الفيروز: القاموس المحيط ، بيروت ، دار الرسالة ، ط6 ، 1997.

2. ابن منظور :لسان العرب ، حرف الدال ، المجلد الخامس ، بيروت : دار الصادر ، ط1، دت.

3. أندريه لالاند :موسوعة لالاند الفلسفية ـتر:خليل أحمد خليل ،مج A6 ،بيروت ، منشورات عويدات ،ط2 ،2002 .
4. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج1، بيروت : دار الكتاب ، ط1 ، 1978
5. المعجم الوسيط،القاهرة:مكتبة الشروق الدولية ،ط،2004.
6. المنجد في اللغة والاعلام ، القاهرة : دار المشرق ، ط3 .
7. وهبة مراد: المعجم الفلسفي ، القاهرة : دار القباء الحديثة ، 2007.

المقالات :

1. مولاي محمد السعيد :إشكالية الحضارة عند بن نبي، مجلة الموافقات ،ع 3.

.....

فهرس الموضوعات

.....

فهرس الموضوعات

بسملة

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة **أ-ج**

الفصل الأول:مفهوم الدور الحضاري **4-31**

المبحث الأول:مدخل مفاهيمي..... **5-18**

المطلب الأول:تعريف الدور..... **5**

المطلب الثاني:مفهوم الحضارة..... **7**

المطلب الثالث:تعريف الدورة الحضارية..... **16**

المبحث الثاني:ارهاصات الدور الحضاري..... **19-23**

المطلب الأول:في الحضارات الشرقية القديمة..... **19**

المطلب الثاني:عند اليونان..... **21**

المطلب الثالث:في التمثلات القرآنية..... **22**

المبحث الثالث :تجسد الدور الحضاري عند الفلاسفة..... **24-31**

المطلب الأول:التعاقب الدوري للحضارات عند ابن خلدون..... **24**

المطلب الثاني:عند جيوفاني باتيستا فيكو **27**

المطلب الثالث:عند اوزفالد شبنجلر..... **30**

الفصل الثاني :الدور الحضاري عند مالك بن نبي..... **32-58**

المبحث الأول :مفهوم الحضارة عند ابن نبي **34-44**

المطلب الأول:تعريف الحضارة عند ابن نبي **34**

المطلب الثاني:عناصر الحضارة عند ابن نبي **37**

المطلب الثالث :المحاور الكبرى للحضارة..... **43**

.....

المبحث الثاني:مفهوم الدور الحضاري البناني **44–54**

المطلب الأول:تعريف الدور الحضاري عند ابن نبي..... **44**

المطلب الثاني :منطلقاته المرجعية **48**

المطلب الثالث:خصائصه..... **51**

المبحث الثالث:مراحل الدور الحضاري عند مالك بن نبي **55–58**

المطلب الأول:مرحلة الروح..... **55**

المطلب الثاني:مرحلة العقل..... **56**

المطلب الثالث:مرحلة الغريزة..... **57**

الفصل الثالث:تجسيد مراحل الدور الحضاري عند ابن نبي وأسس مشروعه النهضوي **59–82**

المبحث الأول:تجسيد مراحل الدور الحضاري **61–66**

المطلب الأول:في الحضارة الاسلامية **61**

.....

المطلب الثاني :في الحضارة المسيحية **64**

المبحث الثاني:الأمراض والعوائق الحضارية في العالم الاسلامي **67–70**

.....

المطلب الأول:الامراض الذاتية..... **67**

المطلب الثاني:الامراض النفسية..... **68**

المطلب الثالث:الامراض الفكرية..... **69**

المبحث الثالث:اليات التغير والنهوض الحضاري..... **71–82**

المطلب الأول:بناء انسان جديد وفعال..... **71**

المطلب الثاني :تفعيل شبكة العلاقات الاجتماعية **77**

.....

المطلب الثالث :تفعيل الجانب السياسي..... **79**

خاتمة..... **83–85**

قائمة المصادر **86–90**

والمراجع.....

فهرس الموضوعات..... **91–93**

.....